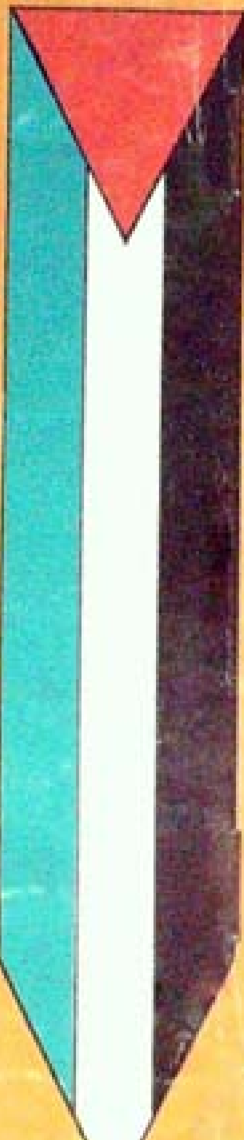
المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي

يصدرها مكتب الإعلام والنشر في القيادة القومية



في هذا العدد :

العددان ١٩١ - ١٩٢ كانون الثاني - شباط ١٩٨٦

المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

المحتويات

« المناضل ص . ب – ١١٥١٢ – دمشق »

المحتويات

« المناضل ص . ب – ١١٥١٢ – دمشق »

الافتتاحية

المحاسبة في الحزب الثوري ..

الرفيق الدكتور عبد الحافظ نعمان

عضو القيادة القومية للحزب
رئيس مكتب الاعلام والنشر

الاقتناع بقضية ما والنضال من اجلها يتطلب قدرا عاليا من الالتزام الذاتي ، بما يتناسب مع حجم وطبيعة الاهداف التي تسعى القضية لتحقيقها ، وعبر هذه العلاقة التبادلية بين القضية ، بما تبرزه من قيم وعلى سائر الصعد الانسانية وبين الالتزام الذاتي بهذه القيم ، يتحدد المسار وتطور العمل النضالي بكامله . لهذا فانتفاء مبدا الالتزام عن اية قضية يحولها الى مجرد امنية او حلم يفتقر الى الاداة والدافع القانوني والمادي لتحققها ، كما ويفقدها حيوية التفاعل مع الظرف والمعطى الاجتماعي ، الذي تتحرك في اطاره ، الامر الذي يجعلها تتقهقر امام البدائل الآنية ذوات القابلية في التحقق ، والتي كثيرا ما يكون تحققها على حساب المضامين العليا للقضية نفسها. فالقضية بعيدا عن مبدا الالتزام ، تتحول الى فرضية مجهولة القدرة في امكان التحقق والاستمرار .

من هنا كان مبدا الالتزام شرطا ضروريا لتمثل وتجسيد القضية عبر مراحل تحققها ، وهذا ما جعل الاحزاب الثورية تضع مسالة الالتزام في مصاف الاهمية نفسه ، للقضية نفسها ، كما وتعمل على ابتكار نسق من الاجراءات التي تمكنها من التدقيق

المستمر في هذه المسالة حيث تحقق ضمن كوادرها اعلى درجة ممكنة من الالتزام بالقضية .

والالتزام ذاتي بحكم انطلاقه من الواعز الذاتي ، المتمثل في جملة القناعات والافكار التي يكونها ، عبر معاناته الخاصة . وموضوعي من حيث الطبيعة الاجتماعية للقضية ، فالقضية كحركة اجتماعية ، تحتم على الفرد اخراج مسالة الالتزام من الحيز الشخصي ، الى الحيز العام ، ووضع هذه المسالة في محك الاختبار والممارسة على ضوء القوانين العامة الحاكمة لمسار القضية وتوجهها . وهكذا فمن خلال تطابقية الممارسة الذاتية مع مجمل القوانين العامة هذه تتحدد سوية الفرد ودرجة اقتناعه وبالتالي التزامه بهذه القضية ..

غير ان مبدا الالتزام بهذا المعنى لا يمكن ادراك كنهه بعيدا عن مبدا المحاسبة،التي تمليهاهذه القوانين والضوابط بمختلف درجاتها التوجيهية والزجرية ، لهذا كان ضروريا اعتماد مبدا المحاسبة كركن اساسي من اركان بناء الحزب الثوري ، حزب القضية واداتها ، وبالدرجة نفسها فان غياب هذا المبدا او مجرد التساهل في ممارسته وتطبيقه يعني بالتالي غياب الحزب وغياب القضية .

فالمحاسبة ، كالالتزام ، ذاتية : تنطلق من الواعز الذاتي للفرد، ومن خلال الرقابة الصارمة التي يفرضها على سلوكه واحكامه العامة وعلاقاته الاجتماعية ، وفقا لاحكام وقيم القوانين العامة للقضية وحزبها الطليعي ، وموضوعية من حيث استعداد الفرد لتقبل النتائج التي التي تتمخض عن ممارسته لمجمل هذه القيم والاحكام . وما مبدا النقد والنقد الذاتي سوى اللبنة الاولى في التعبير عن اهمية المحاسبة في شكلها العملي والفاعل في قمع وتحجيم سائر الممارسات الخاطئة داخل الحياة الحزبية ، فكما هو ضروري اعتماد مبدا النقد والنقد الذاتي كواعز فردي وجماعي في تصحيح مسار التجربة الحزبية وتقويم السلوك الحزبي ، يكون ضروريا ايضا ان نضع ، وفي المصاف نفسه من الاهمية ، مسالة المحاسبة ، لما تحويه من قدرات رادعة وزاجرة في منع الخطا او استئصال بؤر الانحراف .

وهو الامر الذي اكده الرفيق الامين العام للحزب في الذكرى الثانية والعشرين لثورة آذار بقوله « سنحاسب المقصرين والمخطئين في المرحلة المقبلة ، وهذا ماقرره المؤتمر القطري الثامن للحزب ، وعلى جميع مستويات السلطة ان تعي هذا القرار جيدا وان تعمل على تنفيذه والا تسمح بتراكم الاخطاء ، بل تعمل على المحاسبة ومعالجة الخطا فور وقوعه وعلى اسس موضوعية » .

من هذا المنطلق تبرز اهمية ممارسة الحزبي لحقه في النقد والنقد الذاتي ، كما وتبرز اهمية وضرورة ممارسة القيادة لحقها في المراقبة والمحاسبة على عموم الجهاز الحزبي ، ذلك ان اي تساهل او تهاون في تطبيق هذين المبداين ، انما يعرض الحزب لفقدان صفته الثورية ويحوله الى منتديات عشائرية وقبلية ومراكز نفوذ يسهل اختراقه من قبل قوى اليمين والانتهاز .

فالحزب الذي يفتقر الى ممارسة النقد والنقد الذاتي ويعجز عن اداء دوره في المحاسبة هو حزب مشكوك في ثوريته ومحكوم عليه بالزوال ، كما وان القيادة التي لا تلتزم مبدا النقد والنقد الذاتي وتحجب عن الرفاق حقهم في ممارسة هذا الجانب المهم من العملية الحزبية لهي قيادةفاشلة غير جديرة بهذاالمركزالحزبي .

ان ما يجعلنا نعود مجددا الى تاكيد ضرورة ترسيخ هذه المبادىء والقيم الثورية في حزبنا الثوري هومانلاحظه اليوم من قصور في فهم بعض الرفاق لمهام الحزب النضالية واعتقادهم بان هذه المهام قد توقفت مع انتصار حزبنا وجيشه العقائدي على زمرة الاخوان المسلمين . ان هذا التصور الخاطىء لدى هؤلاء الرفاق قاد العديدمنهم الىالاعتقاد باستحالة عودةهذه القوىالمعادية الى شن مغامرة اخرى تستهدف حزبنا ومنجزاته الثورية ، الامر الذي خلق لديهم حالة من التقاعس والاسترخاء عن القيام بما يمليه عليهم واجبهم الحزبي والوطني، وقدانعكس ذلك على مانلمسه لدى بعضهم من استهتار بالقوانين وغياب الحرص على الاموال العامة وتجاوز لحقوق غيرهم،كما ورافق هذا الاستهتار بروز نمطردي،من

سلوكية البرجوازية الصغيرة ، التي بدات بالانتشار بين بعض الاوساط الحزبية ابتداء باولاد ((الذوات)) الذين تضيق شوارع دمشق بسياراتهم الفارهة وسيارات مرافقيهم ، عسكرية ومدنية ، وانتهاء بتجاوز بعض القيادات المسؤولة لحدود مهامها النضالية الى ممارسات تتنافى وابسط مبادىء الانضباط الحزبي . وسواء اكانت تدرك هذه الشريحة من الرفاق خطورة ما تقترفه ام لا ، فان عملها هذا انما يساهم وبشكل مباشر في خلق وتوفير الاجواء المناسبة لعودة قوى اليمين والانتهاز مجددا الى الحياة ، كما وتقدم لها عبر سلوكها هذا ، كل مستلزمات النمو والانتشار .

فالحزب الثوري انما يجد مبرره التاريخي في كونه الحركة الثورية القادرة على قيادة عملية التحول الاجتماعي والاقتصادي عبر مايجسده من قدرات في خلق حياة افضل للمواطن ، وتحقيق قدر من النمو والتطور يمكنه من الوصول الى اهدافه السامية والتقيد بهذه القيم والمبادىء الثورية امر اساسي وجوهري في ترسيخ هذا الحق التاريخي للحزب ومنحه في الوقت نفسه القدرة على انجاز المهام المطلوبة منه ، كما ان غياب الالتزام بهذه المبادىء والقيم يفقد الحزب دافعه الثوري في قيادة عملية التحويل المجتمعية ويجعله عرضة للتفكك والتحلل والزوال .

ومن هنا ياتي قول الرفيق الامين العام ... في افتتاح المؤتمر العشرين لاتحاد نقابات العمال : ((فالثورة المستمرة المتصاعدة القادرة على تحقيق العدالة واجتثاث الاستغلال تتطلب تعميق الوعي الطبقي بكل مقوماته ووجوهه ، من حيث كونه ذاكرة ، من حيث كونه رؤية ، من حيث كونه ايمانا ، من حيث كونه تضحية ، من حيث كونه ممارسة وعملا)) .

طبيعي ان يواكب عملية التحويل الاجتماعي الاقتصادي جملة من الاخطاء التي تنجم،اما عن قصور ذاتي في فهم المسؤولية الحزبية واسلوب ممارستها ، او كثيرا ما تكون نتيجة دس مقصود من قبل قوى رجعية انتهازية ترى في عملية التحويل هذه خطرا يهدد

مصالحها الاقتصادية ومواقعها الاجتماعية المتميزة ، فتعمد الى مقاومتها من داخل الحزب عبر ضربها لهذه القيم والمرتكزات الثورية. غير ان الرد المناسب على هذه المحاولات لايمكن ان يكون في تكريسها مثالا للرجولة والشجاعة والتسابق في من يكون اكثر الرفاق قدرة على جمع الثروات وتهديد الصالح العام ، وانما في الالتزام المتواضع بقيم الحزب ومبادئه الثورية . فالثورة لا تعني على الاطلاق ابدال متسلط بآخر او احلال قوي لاحق محل قوي سابق بقدر ماتعني انزال السلطة الى الشعب وجمهرة الموقع حيث يتحول القرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي الى قرار جماهيري ينبثق من عمق الحاجة الجماهيرية نفسها . ان مايبرر جدارة الحزب في قيادة المجتمع والثورة هو قدرته في كسب ثقة الجماهير وولائها ، وعبر هذين المعيارين الثقة والولاء ، تقاس هذه الجدارة .

دراسات سياسية

الدّرس البُولوني

الرفيق ياسين سلمان

تثبت مطالعات الارشيف ان بولونيا ، البلد الصديق ، لم تعرف الاستقرار او الهدوء ، منذ مايقرب السبعة عشر عاما ، وتحديدا مذ كان التمرد الصهيوني في اذار ١٩٦٨ ، ردا مباشر على موقف الدولة البولونية ، المدين للعدوان الصهيوني عام ١٩٦٧ ، والمؤيد للحق العربي .

فمنذ ذلك التاريخ بدات تتشابك خيوط الازمة البولونية ، بتوجيه امبريالي صهيوني مباشر ، واستخدام لعناصر ، موجودة في الواقع ، كانت ترعاها الامبريالية الامريكية خاصة ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانيــة .

— ففي بولونيا ، وخلافا لكل دول اوروبا الشرقية ، افرد مكان خاص لدور الكنيسة الكاثوليكية ، ذلك الدور ، الذي استطاع ، بتأثيره المباشر وغير المباشر ، ان يستثنى قطاع الزراعة من التحولات الاشتراكية ، بنسبة تزيد على ٨٠٪ ، وان يفرض منطقا يمينيا متصاعدا ، وجد تعبيره السياسي في التدخل بشؤون الدولة وتغذية العداء للاتحاد السوفياتي ، وتوجيه الانظار للخلاص الاتي من الغرب .

— وفي بولونيا وجود مؤثر لليهود والصهاينة ايضا ، عبر عنه بسمارك في ١٥ كانون الثاني عام ١٨٤٨ — على حد ما ذكر المؤرخ البولوني جوزيف فيلدمان — بقوله : « **لو اعطي اليهود امكان الهجرة من بوزنان — محافظة بولونية كانت سابقا تابعة لبروسيا —** الى اعماق المانيا لما استفادوا من ذلك كثيرا لان الطبع البولوني غير المبالي بشؤون هذا العالم جعل من بولونيا جنة لليهود » . ولسنا بالضرورة مع هذا الراي وانما يقودنا الى اقرار حقيقة تسامح الشعب البولوني تاريخيا مع اليهود خاصة ..

والمهم ان هذا الوجود المؤثر وجد تعبيره في قدرة اليهود البولونيين على الدفع باعداد كثيرة من الكوادر الى المراكز الحساسة في الادارة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ، بشكل يفوق كثيرا نسبتهم العددية في المجتمع .

— وفي بولونيا آلاف العائلات ، التي ترتبط بعلاقات مختلفة مع الملايين من البولونيين المهاجرين الى الولايات المتحدة خاصة ، وفرنسا والمانيا الاتحادية .. وقد استطاعت الامبريالية على طريق هذه العلاقات ، وتوجيهها بشكل مكثف .. ان تربط بعض هذه العائلات بها ، او تعزلها ، او تسلخها عن النظام الاشتراكي ، او تشلها عن العمل المنتج .. او تجعلها معلقة بالاوهام التي تقدمها لها اذاعة اوروبا الحرة ، يوميا ، وجواسيس الصهيونية والمخابرات المركزية الامريكية .

وفي بداية السبعينات كانت قد وضعت المقدمات واعدت العدة لتحطيم حزب العمال البولوني الموحد والنظام الاشتراكي في بولونيا . وكانت سنوات عهد « غيرك » العشر تحطيما « تدريجيا للمبادىء الاساسية الاشتراكية » ، ففي نهاية هذه السنوات :

١ — صفيت الماركسية اللينينية من الحزب تقريبا وامحى طابعه الطبقي ، بحجة ان المرحلة تستوعب فكرة حزب كل الشعب .

٢ — وصل الاقتصاد الى حالة من التبعية الخطيرة للغرب ، تمشيا مع فكرة بناء الاقتصاد الطموح ، وما تبعها من تجديد الالات

وبراءات الاختراع ، وقروض الائتمان ، وتنامي العلاقات مع الشركات متعددة الجنسية ، مقابل اضعاف الروابط بالدول الاشتراكية والكوميكون .

٣ — تشكيل مجموعة بورجوازية طفيلية جديدة صغيرة وقوية ، باعتبار انها تضم النخبة الحزبية والادارية الى جانب ما افرزه القطاع الخاص والعلاقة مع الغرب والشركات .. الخ .

٤ — تسليم المراكز الحساسة ومراكز الابداع لليمين والصهاينة .

٥ — تشكل منظمات يمينية مثل كور الصهيونية اوكونفدرالية بولونيا الحرة ، مقابل اضعاف اليسار الحقيقي ، وبالتالي ابعاده عن المسيرة السياسية الاقتصادية الاجتماعية .

وهذا كله كان تعبيراً عن تطور مقومات ازمة حادة مخططة عصفت ببولونيا وقادت الى الانفجار الاجتماعي الكبير الذي حصل في تموز وآب عام ١٩٨٠ ، والذي اعتقدت الولايات المتحدة أنه الضربة القاصمة للاشتراكية في بولونيا . وجاءت قيادة جديدة لايجاد المخرج من الازمة ، ولكنها كانت تقف امام مهام تفوق قدراتها الفكرية والسياسية ، في حين كان الحزب يعاني من الاثار الديماغوجية والليبرالية التي فرضها عهد « غيرك » .. واتفق المعنيون على حل سياسي للازمة باعتبار انه لايوجد هناك خيار آخر .. ولكن عوامل الضغط الامريكي الصهيوني المستمرة والمتلاحقة ، وقلة خبرة القيادة الجديدة ، التي كان اغلبها من خارج المؤسسات القيادية التي حكمت او وجدت في عهد « غيرك » كانت ارضا خصبة لتحويل مقولة الحل السياسي الى سياسة تنازلات متسارعة امام الثورة المضادة .. فقد كانت سياسة الحكومة تتجسد في فكرة تنسب الى « كانيا » هي « خطوة الى اليمين افضل من الوقوع في الهوة » ، غير ان هذه الخطوات المتخذة ، عبر مايسمى بالحوار ، قادت الى الوقوع في الهوة ، تقريبا ، حيث قفزت القوى المرتبطة بالامبريالية والصهيونية الى قمة التضامن ، وكشفت عن وجهها بكل وضوح ، باعلانها ان الخلاص لا يوفره سوى الغرب ، ومساوماتها ومناوراتها ، وهي في موقع القوة ، بغية القضاء على النظام الاشتراكي .

ومن جانب آخر كانت القوى الصهيونية تدفع بالتراجعات ، عبر عملية اضعاف الحزب ، الى مستوى الانتهاك الصارخ لمبادىء الحزب وقرارات المؤتمر التاسع والنظام الداخلي .. وقد استطاعت هذه القوى ان تفرض اعضاء في المكتب السياسي من خارج اللجنة المركزية . وان تعيد الاعتبار لصهاينة كبار امثال بيمان وروما ن زامبروفسكي — وبيمان هو الشخص الثاني في فترة عبادة الفرد التي حكمها اليهود في بولونيا بين ١٩٤٨ — ١٩٥٦ ، ومسؤول الامن والايديولوجيا ، ونائب رئيس الوزراء ، ورئيس الحركة الصهيونية في بولونيا والمسؤول عن وضع الصهاينة في الحكم وعن آلاف الجرائم . اما زامبروفسكي فكان عضو مكتب سياسي ، ابعد في عام ١٩٦٣ عن المكتب السياسي وفي عام ١٩٦٧ ابعد عن اللجنة المركزية ، وهو من قادة التمرد الصهيوني في آذار ١٩٦٨ ، ردا على تاييد بولونيا للحق العربي . والذين طردوا من الحزب في عام ١٩٦٨ .

وهكذا تقوم اليسار مرحلة ما بعد « غيرك » بانها « استمرار لسياسة غيرك بدون غيرك ، مع فارق واحد هو ان الابتعاد عن المبادىء الاساسية للاشتراكية في عهد غيرك جرى بشكل تدريجي ، بينما سار به اسلافه على شكل قفزات متلاحقة » . وقد شخص اليسار الوضع بانه بالغ الخطورة ولا يحتمل التنازل ولا التأجيل ، فاما التصدي واما القبول بواقع ان بولونيا سقطت في احضان الامبريالية .

وفي اطار التحريض المحلي والعالمي والدعوة لايقاف التراجعات عقد المؤتمر التاسع الاستثنائي لحزب العمال البولوني الموحد من اجل ايجاد حل للازمة القائمة . وقد كشف المؤتمر ، في تشخيصه لعوامل الازمة ، ان العلة تكمن في الملكية الخاصة ومحاولات نسف مركزية الاقتصاد لصالح مايسمى بالتسيير الذاتي . واكد المؤتمر ان جماعة « غيرك » اصبحوا في راس التجديد .. وهم دعاة الليبرالية ، والاقتصاد الحر ، وحل الحزب ، وتقديم التنازلات .. الخ . ولقد انتقد كانيا في هذا المؤتمر المتطرفين في نقابة التضامن ، وعملية تحويلها الى حزب سياسي .. وهاجم مراكز التخريب في الغرب ، ومنظمة كور الصهيونية .. وانتقد طرح الادارة الذاتية لوسائل الانتاج .. غير ان كانيا انتهى الى رفض حل الازمة بالقوة في حين

كانت كل المؤشرات تدل على استحالة جدوى اي اسلوب آخر غير القـوة .. ولقد طرح في هذا المؤتمر انه « لا يجوز السماح بوجود الصهاينة في الحزب لانهم مستعدون لتمزيقه دائما » . وفي ختـام المؤتمر حصل الجنرال ياروزلسكي على اغلب الاصوات .

وفي اربعة الى خمسـة اشهر لاحقة للمؤتمر تواصل الحـوار .. ولكن اليمين كان يواصل إكتساح المواقع الجديدة تحت غطاء اعلامي امبريالي ، مفاده ان التضامن تمثل الشعب البولوني قاطبة ، وهي في الموقع الاقوى لفرض النظام الجديد كامر واقع .

وحيال هذا الواقع المتردي اتخذ اليسار قراره بالمواجهة ، واعلن الحرب .. وقد قاد موقف اليسار هذا الى ايقاف مرحلة الحوار في ١٣ كانون الاول ١٩٨١ والبدء بحل التضامن واعلان الاحكام العرفية في بولونيا .

ولقد اظهرت عملية المواجهة مبالغات التضـامن بقواهـا .. وكشفت عن تغيرات في ميزان القوى ليس لصالح التضامن ، بل ان كبح جماح تفكك الدولة وفرض الانضباط وقبول المجتمع باستعمال القوة ، كمخرج لحل الازمة ، فرض الانكفاء ، ولو بشكل مؤقت ، على قوى الثورة المضادة عامة والتضامن خاصة .

اجتمعت اللجنة المركزية ، في المرحلة اللاحقة لاعلان الاحكام العرفية ، اكثر من ٢٢ مرة من اجل ايجـاد المخرج السياسي الاقتصادي الاجتماعي للازمة القائمة .. واحد هذه الاجتماعـات المتاخرة الشهيرة كان اجتماع اللجنة المركزية في مدينة وودج والذي اخذ شهرته كونه اول اجتماع للجنة المركزية خارج العاصمة ، ولانه ضم ممثلين عاديين عن العمال بغرض ، سبر مدى تقبل العمـال لسياسة الحزب والدولة منذ اعلان الاحكام العرفية في ١٣ كانـون اول عام ١٩٨١ . ولقد اكد العمال في ذلك الاجتماع ان الاجـراءات التي اتخذت في المرحلة الماضية « غير فعالة » ، الامر الذي يمكن ان يقود بولونيا الى « انهيار جديد اكثر مأساوية » .. وقال العمـال : ان استمرار التوازن بين الغرب والشرق والراسمالية والاشتراكية لن يفضي الى الحل بل الى ازمات جديدة متلاحقة ، وان الحل يجب ان ينطلق من :

ـ البدء بعملية استعادة الاشتراكية في بولونيا ، بقيادة حزب العمال البولوني الموحد ، باستعادة طابعه الطبقي العمالي والعودة لمبدأ المركزية الديمقراطية ، وابعاد اولئك الذين خانوا طبقتهم واصبحوا دعاة للشيوعية الاوروبية والليبرالية علنا .

ـ تطبيق مبدا المحاسبة : ضد اولئك الذين تلاعبوا بقـوت الشعب واثروا على حساب المجتمع .

ـ توسيع رعاية الدولة للفئات والقوى الكادحة ، وليس كمـا تقول الصهيونية بتقليص هذه الرعاية كاحد المخارج من الازمة .

ـ انتشال الاقتصاد من « القعر » وليس بغير الاشتراكيـة والتكامل مع البلدان الاشتراكية والانتهاء من وهم الراسـمال الغربي وقدراته السحرية .

كما اكدت كلمات العمال ان وتيرة الحل تتوقف على : العمـل وانتاجية العمل والتنظيم الحكيم للعمل والتشـديد على مركزيـة التخطيط ، والدعاية العقلانية ، والتعامل المنتظم مع الكوميكـون ، وفصل الكنيسة عن الدولة ، وتحديد موقف نقابي ملتزم بالاشتراكية . اما احلام خطة مارشال الجديدة فيجب التخلص منها فورا لانها لـن تجلب سوى الدمار لبولونيا .

في الوقت ذاته طرح اليسار البولوني برنامجه للخلاص ولقد جاء هذا البرنامج منسجما تماما مع طرح العمال في اجتمـاع وودج حيث اكد :

ـ التلاحم الايديولوجي في الحزب وتطهيره ، واسـتعادة دوره والثقة المفقودة فيه .

ـ الاصلاح الاقتصادي ، واستعادة السيادة الاقتصادية بتصفية الديون واعادة الارتباط بالكوميكون . والشرط الاساسي للاصـلاح الاقتصادي ان يكون على اساس الادارة المركزية والـدور البـارز للمنظمات الشعبية .. ومنع بعث البيروقراطيـة والتكنوقـراط ، وتحسين الوضع المعاشي للشغيلة ، وتقليص مواقع القطاع الخاص ، وحل المسالة الزراعية على اساس اشتراكي ، مع التذكير والتاكيـد ان عدم حل المسالة الزراعية منذ البداية وتركها بيد القطاع الخـاص والكنيسة كان الاساس في تفريخ العلاقات الراسـمالية في الريف والخلل الحاصل في آلية العلاقة بين الزراعة والصناعة .

والمطلوب من اجل تحقيق ذلك :

— ان تكون الطبقة العاملة وحلفاؤها مع الحزب وسلطته .. والمدخل لجذب العمال وحلفائهم والشعب عامة يكون بازالة التخريب ، والمحاسبة ، وتنظيم الادارة ، ومصادرة الثروات المجمعة بشكل غير قانوني ، والحؤول دون تكوينها من جديد ، وايقاظ الوطنية البولونية ، والتخلص من المعدمية والديماغوجية الموجهة ضد الاشتراكية ، والقضاء على النزعة الاستهلاكية والانتهازية والنفعية ، والسعي وراء المصالح الخاصة ، وغياب الانضباط واللامبالاة ، وترسيخ قيم احترام العمل والشرف والكرامة المهنية والانضباط الاجتماعي والامانة والشعور بالمسؤولية .. والسعي الدؤوب لاستبدال « قوة الحجة بحجة القوة » .

ولقد حدد اليسار شروطه لانهاء « حالة الحرب » او الطوارىء — « هذا الشر المؤقت الذي لا بد منه » — ب : تطهير الحزب اولا ، والتأكد من ازالة خطر الثورة المضادة ، وحسم قضية التضامن وظهور بوادر التحسن .

وبخصوص التضامن يرى اليسار انه لايمكن العودة الى التضامن ماقبل ١٣ كانون اول ١٩٨١ ، او ممارسات المجلس المركزي للتضامن في السبعينات .. كما لا يمكن قبول واقع استمرار التفاعل بالموازنة بين السلطة وخصومها .. فالمطلوب اذن : « حركة نقابية متجانسة تدفع عن الشغيلة ضرر بيروقراطية الدولة » . وباختصار يسمح « بعودة التضامن للعمل دون الثورة المضادة » ، اي بابعاد قوى الثورة المضادة عن قيادتها وقبول توجيه الحزب والتحالف مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، والكف عن السعي لكسب العضوية على اساس اقليمي وليس على اساس مهني .. ، الامر الذي يحول التضامن الى حزب في حال استمراره .

ويقول اليسار : مطلوب من الحزب ان يتمتع بالنفس الطويل في حواره مع حلفاء الطبقة العاملة والمؤيدين لسياسة التحالف الاشتراكي ، وكل من له مكان في الاشتراكية .. واما بخصوص المسالة الدينية التي تقذف بها الامبريالية في وجه الاشتراكية ، خاصة في بولونيا ، فيقول اليسار : « نعم للرسالة الدينية المشروعة لكنيسة

الروم الكاثوليك وغيرها من الطوائف .. ولا لكل محاولات الاكليريكية السياسية » .. ومعروف طبعا ان قوى حلف الاطلسي تعمل جاهدة على تقديم الكنائس في الدول الاشتراكية كبنى او منظمات سياسية بحتة .. **وللاسف فان قيادات كنسية واسعة نسبيا رضيت بالدور الامبريالي المرسوم لها وتنفذ خططا وتوجهات معدة سلفا في مطابخ الامن الامبريالي .. كمثل العمل منذ شهور ، بالتوجه المتعلق بلاهوت التحرر والذي يصف الاشتراكية بـ « عار عصرنا » .**

ومن المفارقات الغريبة في هذا الامر المساهمة الصهيونية في لعبة الغرب الكنسية هذه ، فمنذ بعض الوقت تعمل الامبريالية لايجاد بطريركية شرقية للروم الكاثوليك لتكون طابورا خامسا في الاتحاد السوفياتي .. وفي عملية البحث وجدت شخصية دينية — وهي ليست على قيد الحياة — كانت قد رضيت التعامل مع الهتلرية ضد الاشتراكية ولها باع طويل حتى في تصفية بعض اليهود .. ورات الامبريالية ان تلميع هذه الشخصية يمكن ان يقود الى اعتبارها رمزا في مواجهة الاشتراكية .. والمساهمة الصهيونية في هذه العملية كانت بمطالبة صحيفة « جيروزاليم بوست » الاسرائيلية بمنح هذه الشخصية المسماة شبيتنكي . **« وسام العادل بين الشعوب » .**

وهكذا تحشر الصهيونية نفسها حيث تستطيع ذلك ، وان قدرت الاصبع الصهيونية على الحركة والنشاط فمن المنطقي توقع المطبات والازمات وبالتالي الانهيار ، ما لم يستنفر المجتمع المعني قوته ويخوض معركة مكشوفة مع الصهيونية .

« فتش عن الصهيونية » عبارة ماثورة وهي — للاسف الشديد — تنطبق على الحالة البولونية .. فبعد كل مافعلته الصهيونية منذ عام ١٩٦٨ توصلت الى القبول بان تقيم طقوسها وبالاسلوب الذي تريد في بولونيا .. ففي مناسبة الاحتفال بمرور ـ ٤٠ عاما على انتفاضة الغيتو ضد هتلر في وارسو اشترك وفود ٢٢ دولة بما فيها « اسرائيل » وجنوب افريقيا ، وقد حذرت الكلمات من التعامل مع اليهود بمعزل عن « اسرائيل » وطالبت باقامة العلاقات معها . **ووعد رئيس اللجنة التنظيمية للاحتفالات باقامة العلاقات مع « اسرائيل » .. ويومذاك احتج من احتج من العرب زائد الاتحاد السوفياتي .. اما السفير المصري فقد حضر الاحتفال**

جنبا الى جنب مع الوفد الاسرائيلي ووفد جنوب افريقيا :

ويطالب اليهود الان باعادة تقويم احداث ١٩٦٨ واعتبارها معادية للسامية ، ومعاقبة المسؤولين عن مواجهة التمرد الصهيوني — على طريقة تعويض المانيا الاتحادية لـ « اسرائيل » — ثم اقامة العلاقات مع « اسرائيل » .

وفيما يخص هذه العلاقات مع «اسرائيل» اجاب الناطق الرسمي البولوني — **في مؤتمر صحفي عقد في الاسبوع الاول من شهر كانون الاول المنصرم وبحضوري شخصيا — على سؤال موجه من صحيفة لوس انجلس تايمز** : حول صحة الانباء القائلة بقرب اعادة اقامة العلاقات مع «اسرائيل» ، وحول ما تتناقله الاخبار عن زيارة فرق فنية وثقافية لـ «اسرائيل» .. اجاب الناطق قائلا : لا علم لي بصحة هذه الانباء، واما عن زيارة الفرق الفنية فقد سمعت ان فرقة الاوبرا ستقوم بتقديم عروض في «اسرائيل» (وفرقة الاوبرا هي اشهر فرقة شعبية في بولونيا) ، وسئل الوزير الناطق الرسمي ايضا : ما هي تصوراتكم ان للتبادل الثقافي مع «اسرائيل» وعلى اي اساس يتم ؟ فاجاب : « الفرق الفنية تزور « اسرائيل » وقد زارتها سابقا ولكن ليس بشكل دائم ودوري .. وليس بناء على اتفاق بين البلدين ولا استطيع تأكيد معلوماتك ايها السيد — موجها كلامه للسائل — واذا صح ما تقول فالسبب يعود الى ان بعض سكان «اسرائيل» يتقن اللغة البولونية .

بعض الصحفيين اكد ان العلاقات ستقام قريبا ، وبعضهم قال : **ليس من الضروري اقامة العلاقات .. فلماذا لا يكون الامر على الطريقة الصينية ؟ ! فالمعلومات تؤكد أن التبادل التجاري بين الاثنين وصل الى (٢) مليار دولار دون الحاجة لاقامة العلاقة الدبلوماسية .**

في هذا الصدد لا نملك الا أن نقول لاصدقائنا البولونيين أن فك العزلة والانطلاق الى العالم من جديد لا يأتي على طريق «اسرائيل» بل **انه من المنطقي التفكير بمحيط عربي واسع تكون ارضيته العداء للصهيونية** . والتفكير بمحيط عربي اخر ارضيته العداء للامبريالية والصهيونية ، وهو الاساس الايديولوجي الذي تستند عليه بولونيا الاشتراكية بالضرورة .. اما محاولات التفريق بين الامبريالية

والصهيونية ، وتاكيد المجموعات الصهيونية التي تتربص ببولونيا الاشتراكية ، بان المال اليهودي يمكن ان يساهم في انقاذ بولونيا فما هي مطبات واخطاء واوهام نرجو الا تقع بها القيادة البولونية .. كما اننا نعتقد ان حكمة هذه القيادة ستجنبها هذه المزالق ما دامت تبحث بحق عن الخط الاشتراكي لبولونيا .

والخلاص كما قال الرفيق ياروزلسكي يكون بعودة الحزب الى مصادر قوته .. وكما اكد عضو المكتب السياسي بانتسكي في خطابه لمناسبة التحضير للمؤتمر العاشر القادم . بان الاساس هو الحزب الموحد المطهر .. الا ان بانتسكي تعرض للخلل القائم في الحزب ، من باب انصراف قسم من الرفاق لمصالحهم الخاصة ، اولئك الذين يحرقون البخور لقيادة الحزب الان بينما هم انفسهم الذين احرقوا هذا البخور للتضامن" واستشهد بانتسكي بقول احد الرفاق القياديين « كراوس » حين قال : « كثيرا ما يسألني الناس كم لديكم من الاعضاء في الحزب فاجيبهم : انني اعرف الذين يملكون بطاقة حزبية اما عدد الاعضاء في الحزب فالله وحده يعلم » ، وطالب بانتسكي بعضوية فاعلة ملتزمة ، وانضباط واع ، ومحاربة الوسطية والتعددية في التفسير .. واكد ان الحل يقع على عاتق العمال وليس على الهاربين الطفيليين، والقطاع الخاص والشركات التي تعيش على الازمة . الخ .

الرفيق رئيس تحرير مجلة الطريق الجديدة قال لنا : نحن الان **في مرحلة تجريبية من الاصلاحات الاقتصادية : «مرحلة جديدة عادية للانتقال من الازمة الى الهجوم والاستقرار والتطبيع .. اما عناصر الهدوء فلقد حصلنا عليها ، والمؤتمر العاشر القادم سيكون مؤتمر تجميع القوى للانقضاض ..**

الناطق الرسمي يقول : « **لا عودة للفوضى السياسية** ، ولن نرضخ لنداء الـ ٧٧ — مجموعة من المثقفين اليمينيين الذي يطالبون بالافراج عن المعتقلين من الثورة المضادة — واننا نعتقد أن قسما من هؤلاء المثقفين هم الذين قادوا من في السجون الى السجون .. سعيا وراء مكاسب يبتغون الحصول عليها من الغرب ، الذي يسعى لتخدير وتخريب الراي العام ، كما ان الناطق الرسمي حذر الكنيسة البولونية قائلا : « على الكنيسة البولونية ان تهتم بالامور التي وجدت من اجلها، وهذا افضل من اشتغالها بحقوق الانسان وفق المنظور الامريكي » .

اما رئيس قسم الزراعة في مجلة الطريق الجديدة فقد استعرض الواقع الزراعي مؤكدا ان احد الاسباب الرئيسية اللازمة يكمن في اخطاء السياسة الزراعية .. ومشيرا الى ان الهدف الاول للسياسة الزراعية الان هو تكثيف الانتاج في القطاعات الثلاث : الخاص ، التعاوني ، ومزارع الدولة ، وان كان القطاع الخاص يشكل ٨٠٪ من الملكية الزراعية . وشدد على الاهمية الاستثنائية للاسراع بتنمية الانتاج الحيواني وانتاج العلف . وقال : ان نقص انتاج العلف اضطرنا لاستيراد العلف الامريكي ، خاصة في نهاية السبعينات حيث وصلت الكمية الى ٩،٤ مليون طن ، تلك التي استند عليها انتاج اللحم في بولونيا . واضاف : غير ان عقوبا تريغان كانت مفيدة لنا لاننا استخلصنا من تلك السياسة ضرورة خلق الاسس الذاتية للزراعة والاكتفاء الذاتي الغذائي . ولقد حققنا نجاحات لا باس بها في هذا المجال منذ ثلاث سنوات ، فقد خفضنا استيراد العلف الى (٣) مليون طن .. وبدا النقص ينزاح في المواد الاساسية الغذائية .. ومع ان البطاقة التموينية ما تزال مستمرة لبعض السلع الاساسية ، ولكنها لم تكن شاملة كما صور الغرب .

اما عقوبات ريغان التي نوه عنها الرفيق رئيس قسم العلاقات الزراعية فهي تلخص دور الغرب والشركات المتعددة ، وتعكس حقيقة المساعدات والقروض الامبريالية .. والغريب ان بولونيا الاشتراكية – اي غير الخارجة حديثا من الاستقلال – وقعت في هذا المطب . والحكاية بدأت باستعداد الأمريكان لتقديم الالات الحديثة والعلف باسعار وقروض نقدية مغرية جدا .. وعقدت الصفقات ضمن الاصول المتبعة في الاتفاقات الاقتصادية بين المشتري والبائع ، وكنتيجة مباشرة لهذا الواقع حدث انفراج ملحوظ في سوق الانتاج الحيواني البولوني خاصة ولكن حين جاء موعد قبض الثمن السياسي اوقفت الولايات المتحدة تصدير العلف وقطع الغيار الخ . وتحركت القيادة البولونية مستجدية الاسراع باصلاح الخلل في العقود ، ومطالبة بتنفيذ العقوبات المنصوص عليها في هذه العقود .. وكان الامريكان في غاية الاستعداد لدفع العقوبات المترتبة .. غير ان الثمن السياسي كان اكبر بكثير وبما لا يقاس .. ذلك ان الالات الامريكية كانت

قد توقفت والانفراج « الكاذب » كان قد تحول الى عامل خطير في دفع الازمة الى الموقع الذي خططت له الامبريالية مسبقا .

يبدو ان القيادة السياسية البولونية قد وعت هذا الدرس جيدا ، ويبدو ايضا ان الشعب البولوني قد استوعب حقيقة ان الحل الامبريالي لن يقدم سوى الازمات والماسي .. فها هي القيادة البولونية تفتش عن حلول ذاتية وفي اطار المجموعة الاشتراكية .. تلك الحلول التي اثمرت في انتشال بولونيا من قاع الازمة وتحريك المجتمع باتجاه الاشتراكية . وها هو الشعب البولوني يقترع لصالح الاشتراكية في بولونيا .. ولقد كانت الانتخابات النيابية في اواخر العام المنصرم خير مثال على ذلك .

ولكن ان هي الصهيونية واطراف الثورة المضادة ؟ هل استسلم اليمين البولوني ؟ هل يمكن القول ان الازمة انتهت ؟ ! هل كفت الامبريالية عن استثمار الام الشعب البولوني في لعبتها الدولية القذرة ؟ الجواب بالتاكيد لا : لان بعض مواقع هذه القوى الاقتصادية والادارية والايديولوجية ما تزال قائمة بشكل او باخر . على رغم الاجراءات الايجابية الاخيرة التي نتجت عن اجتماع اللجنة المركزية لحزب العمال البولوني الموحد في شهر كانون الاول من العام المنصرم .

وفي لقاءاتنا مع الرفاق المسؤولين في قيادة الحزب والدولة والمؤسسات الصحفية جرت مقارنات بين اتجاهين قائمين : اتجاه يريد التشدد واخر يريد المرونة . ولقد لمسنا نحن التعددية في التفسير الذي نوه عنه ياتسكي في خطابه .. فهناك من اكد لنا ان الواقع البولوني والخصوصية البولونية تفترضان الحلول الليبرالية .. وهناك من حاول اقناعنا بخط فكري سياسي يتماشى ومنطلقات الشيوعية الاوروبية ولا تفارقه كلمة مرونة .. حتى حفظنا عن ظهر قلب ان كلمة مرونة عندهم تعني اليمين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . وعلى سبيل المثال عندما تم التعرض لمسالة « الشرق الاوسط » هناك من قال لنا ان الاستقرار هو اساس التنمية ولذلك فالمطلوب من الاطراف جميعها ان تكون مرنة في عملية البحث عن حل للازمة القائمة .. ولقد صيغ الكلام بقالب فهم منه بوضوح اننا نحن المطالبون بالمرونة ؟! وكان ردنا على هذا التوجه اننا ومنذ الحركة التصحيحية انتهجنا خطا

واقعيا مرنا تجسد في الجبهة الوطنية التقدمية على صعيد الداخل السوري، وفي التضامن العربي على صعيد الوطن العربي، وفي الموافقة على القرارين (٢٤٢) و (٣٣٨) في الاطار العالمي لحل مسالة «الشرق الاوسط»، ومؤتمر جنيف، واي مشروع لحل عادل شامل في اطار الامم المتحدة .. أما اذا كانت المرونة تعني التعامل مع اتفاقات كامب ديفيد ومشروع ريغان، او الاستسلام بمعنى آخر فنحن غير مرنين ولن نكون مرنين على الاطلاق .

وهناك من سالنا عن رأينا في «الارهاب الدولي» فقلنا رأينا مع رفض استعمال التسمية باعتبارها تسمية امريكية وشعارا يكفي بادئ ذي بدء تسويقه وحفظه .

وهناك من حاول أن يحشرنا في زاوية انه لا يحق لنا الكلام كثيرا باعتبارنا نتلقى المساعدات .. فقلنا اذا كنا متفقين على أن كامب ديفيد جاءت لضرب حركة التحرر العربي، وتدعيم مراكز الرجعية في المنطقة، وخلق علاقة استراتيجية رجعية عربية صهيونية امبريالية، ولتبرير التواجد الامريكي المباشر في المنطقة لكي تشكل زراعا تنطلق منه الامبريالية في مواجهتها للاشتراكية .. اذا كنا متفقين على هذا فيجب أن نقر أن سوريا تلعب دورا خطيرا في مواجهة الامبريالية والصهيونية وفي الخندق الاول دفاعا عن حركة التحرر العربية والعالمية باطرافها المختلفة .

وبالمقابل فلقد رأينا في بولونيا ما يثلج الصدر ويبعث على التفاؤل: رأينا من يقدر الصداقة العربية البولونية ويرغب في تطويرها على اساس المعادي للامبريالية والصهيونية، وبما يجلب المنفعة للطرفين. ورأينا من قال ان الصهيونية تشكل خطرا كبيرا على بولونيا ومن الواجب مواجهته اولا، وفي هذه المواجهة فان «الرفيق حافظ الاسد هو المعلم الاول» .. ذلك الذي بين بوعي دقيق خطر الفصل بين الامبريالية والصهيونية .

رأينا من اثبت لنا خيبة امل الشعب البولوني بالحلول الامبريالية واقتناع فئات بتزايد اتساعها، بان لا حل الا الاشتراكية والعلاقة المتينة مع الاتحاد السوفياتي ودول مجلس التعاضد الاقتصادي «الكوميكون» ..

رأينا النية الصادقة لتحسين الوضع المعاشي للشعب البولوني والعمل لاستعادة الانسان البولوني لوطنيته .

رأينا في كل مكان نقدا ونقدا ذاتيا بغية التوصل لعضوية فاعلة في الحزب من أجل انطلاقة صحيحة يقررها المؤتمر العاشر القادم لحزب العمال البولوني الموحد وتوفير الامكانات والطاقات القادرة والمستعدة لتطبيقها في الواقع العملي .

وبناء على ما تقدم فنحن لسنا ممن يستهين بالدور الصهيوني الامبريالي الموجه ضد بولونيا، ولكننا متفائلون بقدرة الشعب البولوني على تحقيق النصر على اعدائه، وبحكمة القيادات البولونية على اختيار السبيل الافضل للموقع الافضل في عالم الاشتراكية .

لقاءات القمة

السوفياتية ـ الأمريكية

ميشيل منير

يصعب تعداد جميع العوامل التي تحدد نبض الحياة الدولية والمناخ السياسي في العالم . لكل دولة مساهمتها في الصورة المعاصرة للعلاقات الدولية والمشهد السياسي الحالي للعالم . ولكن يختلف طابع ومقدار ذلك التأثير وخاصة في القضايا الاهم بالنسبة لتطور البشرية اللاحق ـ هنا يلفت الانتباه ـ اذا نظرنا من منظور ميثاق الامم المتحدة الى الدور الخاص الذي تلعبه الدول الخمس الكبرى : الاتحاد السوفييتي ، الولايات المتحدة الامريكية فرنسا ، بريطانيا ، والصين .

ولكن يختلف الامر بعض الشيء عمليا ، ففي الحقيقة اتخذ نظام العلاقات الدولية بعد الحرب تدريجيا نموذجا لثنائي الاقطاب

يلعب فيه الدور المقرر الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، فيتوقف عليهما في نهاية المطاف حل اهم قضايا اليوم من : وقف سباق التسلح ومنع اندلاع اخر حرب للنوع البشري. ومن هنا يأتي تأثير العلاقات السوفييتية ـ الامريكية الكبير في تطور الوضع الدولي .

تقوم لقاءات القمة السوفييتية ـ الامريكية ـ التي اصبح لها تاريخها ـ بدور مهم في تكوين تلك العلاقات وبالتالي المناخ السياسي في العالم . ولا عجب اذن في أن تثير محادثات ميخائيل غورباتشوف ورونالد ريغان في ١٩ و ٢٠ تشرين الثاني في جنيف اهتماما كبيرا في كل العالم وتنعش الامال بتصحيح العلاقات السوفييتية ـ الامريكية مما يسمح بتحرك قضية الحد من التسلح من نقطة الجمود ويؤثر في المناخ السياسي في كل العالم .

هل ستتحقق توقعات القوى المحبة للسلام بشأن لقاء غورباتشوف ـ ريغان في تشرين الثاني ؟ واي مكان سيحتل هذا الحدث الكبير في تاريخ العلاقات السوفييتية ـ الامريكية والحياة الدولية المعاصرة ؟ يبدو انه لا يميل احد لوضع النقاط على الحروف . وهذا امر واضح نظرا لموقف رونالد ريغان الوهمي بشكل رئيسي . ولكن لندع التكهنات الان . كي نفهم بشكل افضل ما يمكن أن تجلبه هذه « القمة » . ولنستعرض اذن اللقاءات السوفييتية ـ الامريكية على اعلى مستوى حتى الآن .

١ ـ من طهران ١٩٤٣ الى جنيف ١٩٥٥ لقاءات قمة متعددة الاطراف:

لدى النظر الى القضية بشكل اوسع يجب التذكير بالمنطلقات الاساسية المؤثرة في موقف الدول الكبرى الغربية ، من الاتحاد السوفييتي والقائلة بادارة الظهر لموسكو ، واغفال مبادرتها السلمية ودورها في تكوين العلاقات الدولية ، الى جانب العداء الصريح ومحاولات محو الاتحاد السوفييتي من خارطة العالم السياسية ـ تلك التي سببت ومازالت تسبب انحرافا خطيرا عن

السلام . وهذه المنطلقات كانت تقف خلف تأخر نشوء العلاقات الدبلوماسية الرسمية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية . فقد انتظرت واشنطن طويلا كي تعترف بالاتحاد السوفييتي . بعد ان فعلت ذلك مثلا باريس ، روما ، لندن ، طوكيو تطلبت واشنطن ٨ ـ ٩ سنوات اخرى كي تقوم اخيرا بهذه الخطوة ـ ١٩٣٣ ـ . ولم يحدث اول لقاء بين زعيم سوفييتي ورئيس امريكي شمالي الا بعد ربع قرن من ولادة الاتحاد السوفييتي في طهران ـ خريف عام ١٩٤٣ .

ولقد دفعت شعوب العالم غاليا ثمن السياسة القصيرة النظر التي مارستها الولايات المتحدة الامريكية ، فرنسا ، بريطانيا وحلفاؤهما في الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية . حيث لم يسمح لهؤلاء ـ ومن بينهم ايضا بولونيا ـ العداء الاعمى للاتحاد السوفييتي ، الاستفادة من يد موسكو الممدودة للتعاون بهدف وضع سد فعال امام الموجة الخطيرة الجامحة للعسكرية والفاشية بنواياها في الهيمنة والعدوان في اوروبا واليابان . فلقد راوا في الموجة المولدة للحرب بالدرجة الاولى اداة في المعركة ضد «روسيا الشيوعية» . الا ان الظروف المعروفة لتطور مجرى الحرب العالمية الثانية دفعت هذه البلدان للتعاون مع الاتحاد السوفييتي المعبر عن نفسه بتحالف الثلاثة الكبار ، التحالف المتعدد الجوانب المعادي للفاشية الذي حقق الانتصار في اكبر معركة في تاريخ البشرية من اجل اعادة السلم في اوروبا والعالم .

وكانت نتائج الحرب معبرة عن المساهمة الكبرى للسوفييت في هذا العمل التاريخي من اجل السلام ، في حين كانت ترفض مبادرات الدولة السوفييتية واقتراحاتها السلمية بعناد اعمى في العشرينات والثلاثينات . ولقد ثبت ان ضمان السلم لاوروبا والعالم كان المحدد لموقف الاتحاد السوفييتي خلال مؤتمرات طهران (تشرين الثاني عام ١٩٤٣) ، يالطا (شباط عام ١٩٤٥) وبوتسدام (تموز ـ آب عام ١٩٤٥) وكذلك في عملية خلق

منظمة جديدة للتعاون الدولي ـ منظمة الامم المتحدة .

ويمكن القول ان اللقاءات الثلاثة الاولى بين الزعيم السوفييتي ستالين ورئيس الولايات المتحدة (طهران ، يالطا في بوتسدام) ـ التي لم تكن لقاءات قمة سوفييتية امريكية « بحتة » نظرا لمشاركة رئيس الحكومة البريطانية في تلك المؤتمرات ـ تشكل تجربة تاريخية كبيرة ثمينة لانها كانت منقذة للسلم العالمي في زمانها . وليست القضية في ان هذا التعاون الاول على هذا المدى مع الاتحاد السوفييتي كان حاسما في اعادة السلم العالمي فحسب ، بل وكذلك ـ وربما بالدرجة الاولى ـ في ان التجارب المكتسبة وكذلك الاتفاقات والالتزامات المقرة شكلت بالاجمال اساسا جيدا لمتابعة الجهود المشتركة من اجل توطيد النظام السلمي في اوروبا والعالم .

ولكن الحياة سارت باتجاه آخر مع الاسف . حيث قادت الولايات المتحدة اول حملة صليبية ضد الشيوعية ، فغرقت اوروبا والعالم في الحرب الباردة . بالاستناد الى السلاح النووي الامريكي . ولقد تطلب الامر سنوات طويلة من التجارب الصعبة كي تبرز من جديد مظاهر الواقعية السياسية في الغرب وخاصة في البيت الابيض . فبعد (١٠) سنوات بالضبط تقريبا من مؤتمر بوتسدام حدث لقاء قمة جديد . ولكنه لم يكن قمة ثنائية ايضا ، حيث عقد مؤتمر رؤساء حكومات الدول الاربع الكبرى في جنيف (تموز عام ١٩٥٥) : الاتحاد السوفييتي ـ رئيس الوزراء نيكولاي بولغانين ، الولايات المتحدة الامريكية ـ الرئيس دوايت ايزنهاور ، بريطانيا العظمى ـ انطوني ايدن وفرنسا ـ ادغار فور .

لم يتوصل مؤتمر رؤساء حكومات الدول الاربع الكبرى في جنيف الى عقد اتفاقيات ثابتة ومحددة بين الدول الكبرى . فقد كانت الفوارق الفاصلة بينها اعمق من ان يتغلب عليها اجتماع بضعة ايام . ولقد سبب عدم ايجاد الحلول خيبة امل لاولئك الذين

ابدوا توقعات متواضعة قبل ذلك الاجتماع ولكن في التقويم الارتماما
لقمة جنيف نجد ان التاريخ اعطاها دورا ايجابيا حيث اعتبر
بداية وروحا لنهاية الحرب الباردة . خاطبت خيال المجتمعات
وانعشت آمالها بتجنب الحرب النووية والعثور على حلول سياس
للقضايا الدولية المتضخمة .

ولكن يجب التاكيد ان قمة جنيف جرت على حقل ممهد
حيث كانت قد سبقتها اتفاقيات هدنة وضعت حدا للحرب الدمو
في كوريا والهند الصينية ، وبالجهد المشترك شق الطريق لاعادة بنا
النمسا المحايدة . وفي الحقيقة لم تنعدم نهائيا التوترات الجديد
في العلاقات بين « الشرق والغرب » (مثل تثبيت تقسيم أوروبا بتنبي
انتساب جمهورية المانيا الاتحادية لحلف شمال الاطلسي – ابـ
عام ١٩٥٥) ، ولكن لقاء جنيف اظهر بالرغم من كل ذلك استعدا
الجانبين لاجراء المفاوضات وفي السنوات التالية سا
في الحقيقة قحط بالنسبة للقاءات المتعددة الجوانب بينهما
ولكن انت فترة خصب بالنسبة للقاءات السوفيتية – الامريكي
« البحتة » على اعلى مستوى .

ب – اللقاءات الثنائية – واشنطن ١٩٥٩ – فيينا ١٩٧٩ :

لدى الحديث عن اللقاءات السوفيتية – الامريكية على اع
مستوى بالمعنى الدقيق للكلمة لا بد من ملاحظة حقيقة : ان اول حدث
من هذا النوع سجله تاريخ العلاقات الدولية بعد ٤٢ سنة من قيا
الثورة السوفيتية عام ١٩١٧ حيث جرت اول قمة سوفيتية – امريكية
وجود بلاد السوفييت . جرت اول قمة سوفيتية – امريكية
« بحتة » في ايلول عام ١٩٥٩ في واشنطن وقبل الاخيرة في
حزيران ١٩٧٩ في فيينا ، ولو استخدمنا الحساب البسيط لتبين
ان المتوسط الاحصائي لتلك الفترة بلغ على وجه التقريب – قمة
كل سنتين . اما اذا قسنا حتى عام ١٩٨٥ فتكون كل ثلاث سنوات
على اعتبار ان مواصفات رئاسة رونالد ريغان كان رصيدها فارغا

انقضت على قمة الدول الاربع الكبرى في جنيف جرت تسعة
لقاءات ثنائية (باستثناء الاخير) بين قادة الاتحاد السوفيتي
ورؤساء الولايات المتحدة . ويبدو الترتيب الزمني لتلك اللقاءات
كما يلي :

١) خروشوف – ايزنهاور ، واشنطن – ايلول عام ١٩٥٩ :

كان لقاء القمة السوفيتي – الامريكي التدشيني هذا،نتيجة الزيارة الرسمية التي قام بها الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي نيكيتا خروشوف لواشنطن واستمرت من ١٥ الى ٢٧ ايلول عام ١٩٥٩ . لم يعط لقاء زعيمي الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية في واشنطن اية اتفاقات محددة . ولكن مع كونه لم يثمر بهذا الشكل (نشر بيان مشترك فقط) الا انه قام بدوره . نقصد هنا ان العبرة السياسية لتلك الخطوة هي ، اهمية التبادل المباشر للاراء ، والتأمل بنتائج الحرب الباردة الخ . يجب رؤية هذه القمة ايضا من منظور امكانات مرتسمة للقاء جديد لزعماء الدول الاربع الكبرى . ولكن التوقعات لم تتحقق في هذا المجال بسبب فضيحة طائرة التجسس الامريكية يو – ٢ (التي اسقطت على الاراضي السوفيتية في ١ ايار عام ١٩٦٠) مما شطب رد زيارة رئيس الولايات المتحدة الامريكية للاتحاد السوفيتي التي اتفق عليها في واشنطن وكذلك المؤتمر المعد للدول الاربع الكبرى في باريس .

٢) خروشوف – كينيدي ، فيينا – حزيران عام ١٩٦١ :

كان جو هذا اللقاء افضل بكثير مما انعكس ايضا في البيان المشترك . كانت هناك فرص معالجة مشتركة للمهام الصعبة المرتبطة بتوطيد السلم . ولكن هذا لم يحدث اذ بعد اللقاء بقليل ابتعد الزعيمان عن دفة القيادة . اما مادة التفاهم المتبادل التي

حيكت حتى الآن فقد تعرضت لتجربة حادة من الاحداث المتزايدة التي سببتها سياسة الولايات المتحدة الامريكية والدول الاخرى في حلف شمال الاطلسي . لم يحدث اللقاء التالي الا بعد مرور ٦ سنوات .

٣) كوسيغين — جونسون ، عام ١٩٦٧ :

كانت الشهادة على التوتر في ذلك الوقت بين الدولتين الكبيرتين اختيار مكان اللقاء : مدينة غلاسبورو الصغيرة في ولاية نيوجرسي تقع في منتصف المسافة تماما بين واشنطن ونيويورك . وهكذا اضطر رئيسا الحكومتين الى قطع المسافة نفسها : الرئيس جونسون من البيت الابيض ، رئيس الوزراء كوسيغين من مقر الامم المتحدة حيث شارك في دورة الجمعية العامة . انعكس على العلاقات السوفييتية — الامريكية في ذلك الوقت بالدرجة الاولى العدوان الامريكي في الهند الصينية ، العدوان الاسرائيلي المدعوم من قبل الولايات المتحدة الامريكية ضد البلدان العربية وكذلك قضية التسلح . انتهت محادثات رئيس الوزراء كوسيغين مع الرئيس جونسون في غلاسبورو بتبادل الاراء حول تلك القضايا التي تشغل الراي العام العالمي .

٤) بريجنيف — نيكسون ، موسكو — ايار عام ١٩٧٢ :

دخلت هذه القمة السوفييتية — الامريكية تاريخ العلاقات بين هاتين الدولتين بشكل خاص . قام ريتشارد نيكسون بزيارة رسمية لموسكو كاول رئيس للولايات المتحدة في التاريخ . اظهر الجانبان حسن نية سياسية وميلا للحل الوسط الواقعي. ولذلك كانت نتائج هذا اللقاء مثمرة جدا : معاهدة سالت — ١ ، معاهدة بشان الحد من الدفاع ضد الصواريخ ملزمة حتى اليوم ، وثيقة حول اسس العلاقات المتبادلة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية جاء فيها انه في العصر النووي لا يوجد اساس

آخر لتلك العلاقات سوى قاعدة التعايش السلمي . اعطى هذا اللقاء احد اهم الحوافز لتطوير الانفراج في عقد السبعينات .

٥) بريجنيف — نيكسون ، واشنطن — حزيران ١٩٧٣ :

شكل رد زيارة الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي لواشنطن في ايام ١٨ — ٢٥ حزيران عام ١٩٧٣ استمرارا لحوار القمة . كانت النتيجة المباشرة لذلك اللقاء الاتفاق النهائي والتوقيع على تسع وثائق تتعلق بمختلف مجالات التعاون والاعراب عن القناعة بأن التفاوض والاتفاق على معاهدة سالت — ٢ ممكن في عام ١٩٧٤ .

٦) بريجنيف — نيكسون ، موسكو — صيف ١٩٧٤ :

في الفترة من ٢٧ حزيران الى ٣ تموز جرى اللقاء الثالث على التوالي للزعيمين المذكورين. لم يتم في الحقيقة — كما كان متوقعا — عقد معاهدة سالت — ٢ ، ولكن الزعيمين وقعا عدة اتفاقيات متنوعة توسع قاعدة الانفراج . اما بالنسبة لمعاهدة سالت — ٢ فلم ير الزعيمان مانعا دون انهاء هذه القضية في اقرب فرصة . وقد تبين أن لقاءات القمة بين بريجنيف ونيكسون كانت مثمرة جدا ، وضعت قضية العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي على طريق جيد ، الامر الذي استفاد منه ايضا كل العالم . كانت قمة موسكو في صيف عام ١٩٧٤ مع الاسف اللقاء الاخير بهذا التركيب .

٧) بريجنيف — فورد ، فلاديفوستوك — ت ٢ ١٩٧٤ :

بعد استقالة نيكسون من منصب الرئاسة (١٩٧٤/٩/٩) التقى خليفته جيرالد فورد بـ ليونيد بريجنيف في فلاديفوستوك في يومي ٢٣ — ٢٤ تشرين الثاني عام ١٩٧٤ . وقد حافظ البيان المنشور والتصريح المشترك في ختام هذا اللقاء على التفاؤل بشان تطور

العلاقات على خط موسكو – واشنطن نحو الحد من التسلح الاستراتيجي والانفراج في العالم .

٨) بريجنيف وفورد التقيا من جديد في هلسنكي في صيف عام ١٩٧٥ :

حيث حضرا لتوقيع الميثاق الختامي لمؤتمر الامن والتعاون الاوروبي . ولكن يحق القول ان فورد سار على خط الانفراج بقوة اندفاع تلك العملية . وقد لوحظ في الولايات المتحدة الامريكية وحلف شمال الاطلسي تنامي اتجاه آخر . ولذلك كان من الضروري الانتظار حتى عام ١٩٧٩ لانعقاد قمة جديدة سوفييتية – امريكية.

٩) بريجنيف – كارتر ، فيينا – حزيران عام ١٩٧٩ :

بعد « هلسنكي ١٩٧٥ » بدأت واشنطن (الغرب) نسف عملية الانفراج . واضطر الاتحاد السوفييتي لبذل جهد كبير للتوصل الى لقاء قمة جديد وتوقيع معاهدة سالت – ٢ . حدث هذا خلال لقاء بريجنيف وكارتر في فيينا في ايام ١٥ – ١٨ حزيران عام ١٩٧٩ . ازداد اليمين المتطرف قوة وراء المحيط . لم يتم التصديق على معاهدة سالت – ٢ في كونغرس الولايات المتحدة الامريكية . وبنتيجة الانتخابات في تشرين الثاني عام ١٩٨٠ احتل الرئيس رونالد ريغان مكان كارتر . ان الانسجام الذي نشأ بين ادارته وبين اليمين المتطرف لا سابق له في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية . ولا حاجة لتوضيح ما نتج عن ذلك .

ج – قمة غورباتشوف – ريغان ، الاخطار والفرص :

التاريخ لا يعيد نفسه في الحقيقة ولكن يظهر بعض الشبه في الحالات . نستطيع الاشارة الى الشبه بين الوضع الحالي وقبل ثلاثين سنة وطرح سؤال : هل ستنبعث « روح جنيف » – ١٩٥٥ !! فلقاء غورباتشوف ريغان مثل ذلك كان الاول بعد سنوات طويلة، وكما كان حينذاك امتلأت السنوات الاخيرة بالحرب الباردة . وكما

كان الامر حينها لا يأمل احد من قمة غورباتشوف – ريغان في جنيف نتائج فورية ولا بالاحرى انعطافا في العلاقات السوفييتية – الامريكية ونزع السلاح . والآن ايضا قد تثمر القمة بشكل تحسين المناخ وفتح الطريق نحو لقاءات مقبلة . واخيرا كما كان الامر حينها قد يحدد لقاء جنيف بداية نهاية الحرب الباردة الثانية .

ولكن كما كان الوضع قبل ثلاثين سنة كذلك هذه القمة لم تجر في فراغ . تطلبت تحضيرات ذات طبيعة سياسية وسعيا نحو التفاهم تشهد على الاستعداد للمحادثات والحل الوسط الواقعي. تطلبت الوعي التام والمسؤولية التي تتحملها الدولتان الكبيرتان في قضايا السلم الدولي والامن . فقد اشار ميخائيل غورباتشوف مصيبا في حديثه لمجلة « تايم » الاسبوعية (١٩٨٥/٨/٢٨) الى ان جو المحادثات يتكون قبلها . من هذه النظرة نرى ان الاتحاد السوفييتي لم يدخر الجهود بهدف شق الطريق الى مؤتمر جنيف وخلق الظروف كي يجلب نتائج ملموسة بشكل تصحح فيه العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية . لنترك تعداد الاقتراحات السلمية السوفييتية العديدة في مختلف الميادين التي تقدمت بها موسكو في السنوات الاخيرة . لنتذكر فقط خطوات عملية احادية الجانب للاتحاد السوفييتي تشهد على ارادته الحازمة بتحويل التطور الخطير في الوضع الدولي .ومما نقصده هنا:

- **الالتزام الاحادي الجانب للاتحاد السوفييتي بالا يكون البادىء باستخدام السلاح النووي .**
- **تجميد نشر اسلحة مضادة للكواكب الاصطناعية في الفضاء (ملزم مادامت الولايات المتحدة الامريكية والدول الاخرى لا تضع هذا السلاح في الفضاء) .**

- **تجميد التسلح الصاروخي ـ النووي المتوسط المدى في القسم الاوروبي من الاتحاد السوفييتي .**
- **وقف كل انواع تجارب السلاح النووي من آب حتى نهاية عام ١٩٨٥ .**

اعطى الاتحاد السوفييتي العديد من الادلة المحددة العملية على سعيه الثابت لكبح سباق التسلح والميل نحو حل وسط واقعي ، والاستعداد للبحث المشترك عن حلول للقضايا المتفجرة في العلاقات السوفييتية ـ الامريكية والعالم . هذا الموقف السوفييتي المتصف باعطاء المثل الذاتي ، المهم والمستمر ، المرونة والبحث الدائم والمرتبط بماكده عمليا من حرصه للحفاظ على التوازن العسكري بأي ثمن يشكل المستند الرئيس للامل بوضع العلاقات الدولية على أرضية الواقعية السياسية .

تقول موسكو منذ سنوات انه لا توجد تلك القضايا في العلاقات السوفييتية ـ الامريكية التي لا يمكن حلها بالطرق السياسية بوساطة المفاوضات . ولكن ترتبط بذلك ضرورة مراعاة ـ خاصة في حوار نزع السلاح ـ مساواة الامن المتماثل ، وفي المجال الاقتصادي ـ قاعدة الفائدة المتبادلة ، الثقة والتكافؤ ، وهذا يعني التخلي عن الهيمنة ، السعي لتحقيق تفوق عسكري وسياسة موقع القوة وما شابه ذلك .

اذا نظرنا الى موقف الاتحاد السوفييتي قبل قمة جنيف ببضعة اسابيع ، نراه ينبض بالحرص العميق على السلم ، المنطق الحديدي والواقعية . وصف ميخائيل غورباتشوف الحقيقة القاسية حول افاق العلاقات بين اكبر دولتين : « ... سواء أعجبنا أم لا ، يمكن أن نعيش او نموت معا . فقط السؤال الاساسي الذي يتطلب الاجابة هو : هل نحن مستعدون في النهاية للاعتراف بانه لا يوجد طريق آخر سوى العيش معا في سلام ،

هل نحن مستعدون لتحويل طريقة تفكيرنا ونشاطنا من حربية الى سلمية ؟ كما يقولون عندنا ـ عش ودع الاخرين يعيشون . هذا ما نسميه بالتعايش السلمي . بالنسبة للاتحاد السوفييتي نجيب عن هذا السؤال بالايجاب ... » .

ليس المواجهة ، بل التعاون ، ليس بتصعيد التسلح بل الكبح السريع لتلك العملية وتخفيض محدد بعيد المدى في الترسانات العسكرية وخاصة الصاروخية ـ النووية ، ليس المراهنة على انواع جديدة من الحرب ، بل البحث عن اشكال جديدة للتعايش السلمي والتعاون ، ليس كبح تطور التعاون الاقتصادي بل الجهود من اجل تطويره على اسس الفائدة المتبادلة ـ ذلك هو اساس « الفلسفة » السوفييتية في قمة جنيف .

تؤكد موسكو ان تصحيح الوضع والعودة الى الانفراج تتطلب الحوار حول القضايا المفتاحية في الحفاظ على السلم وتوطيده ، الحوار الامين والجدي ، المتكافىء والمشبع بالشعور بالمسؤولية عن التطور السلمي للشعوب والدول .

يجب ان نؤمن بان تيار الواقعية السياسية سينتصر في نهاية الامر مع انه من الخطأ توقع تحول فوري . وهذا التيار لا يتكون فقط من الاتحاد السوفييتي وكل المنظومة الاشتراكية . بل نلمس في العالم المعاصر الذي شغله ارق سباق التسلح حاجة متزايدة لنظرة جديدة الى قضايا السلم والحرب . يزداد عدد الدول التي تنتظر بفارغ الصبر تصحيح العلاقات بين الدولتين الكبيرتين ، تنمو حركة السلام . ان الفشل الملحوظ للحملة الصليبية المعادية للشيوعية ، انعدام تقدم « الصقور » على طريق التفوق العسكري وعدد من الاخفاقات الاخرى لسياسة موقع القوة « الواشنطنية » في فترة رئاسة ريغان الاولى قد خفضت عدد مؤيديه الهادئين وأنصاره . واصبح المناخ السياسي في أوروبا أقل تجاوبا مع دعوات الحرب الباردة الاتية من وراء المحيط . نرى ذلك

ايضا في مثال « حرب النجوم » . ويخلق الرصيد البائس لسياسة ريغان ـ في رئاسته الاولى ـ في العلاقات مع الاتحاد السوفييتي ضغطا متزايدا باتجاه ضرورة تصحيحها .

وتبدو مفارقة حقيقة ان وضع العلاقات السوفييتية الامريكية كان قبل بضعة اشهر افضل من الخريف اي قبل بضعة اسابيع من **قمة غورباتشوف ـ ريغان** . تبين ان انطلاقة ريغان الى الرئاسة الثانية اقل قتالية من الاولى ، سجلت الصحافة العالمية باتباه شديد انه تخلى عن اللغة السياسية النابية المتطرفة في الخطب العامة عن الاتحاد السوفييتي (الشرق) . ان اقوالا من نوع انه لا يمكن خوض حرب نووية وتحقيق انتصار فيها او ان الولايات المتحدة لا تسعى للتفوق العسكري ـ قد استقبلت في موسكو كبوادر امكان العثور على نقاط تماس ومناطق مصالح مشتركة او متوازية .

مهمة ، صريحة ، عينية ومثمرة هذا التقويم اكتسبته اول لقاءات وزيري خارجية الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية بعد انقطاع طويل . لقد اثمر لقاء كانون الثاني ١٩٨٥ بالاتفاق على كل من موضوع وموعد المفاوضات السوفييتية ـ الامريكية الجديدة التي بدات في آذار ١٩٨٥ . بعد محادثات اخرى للوزيرين اعلن شولتز وجود اتفاق بين الجانبين بشان ضرورة عقد قمة وحوار موسكو ـ واشنطن وان الوقت قد حان لاعداد قانون جديد لـ « السلوك » من النوع الذي حدد خلال لقاء بريجنيف ـ نيكسون عام ١٩٧٢ . كل هذا الى جانب الاعلان الرسمي عن موعد ومكان لقاء غورباتشوف ـ ريغان يشهد على حدوث تحسن في العلاقات السوفييتية ـ الامريكية واصبح الطريق الى قمة جنيف اكثر وضوحا ، وبدات تعلق الامال على لقاء الزعيمين وحتى بحدوث انعطاف في تلك العلاقات .

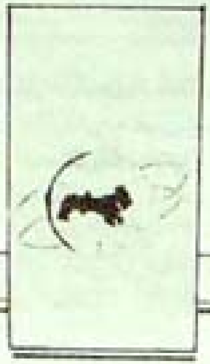
ولكن القضية المبشرة بخير ابتدات تاخذ مسارا سيئا بعد قليل . عندما سأل صحفيو مجلة « تايم » الاسبوعية غورباتشوف في نهاية آب ١٩٨٥ عن وضع العلاقات السوفييتية ـ الامريكية قال : « لو تقدمتم لي بهذا السؤال قبل شهر او شهرين لقلت ان وضع علاقاتنا تحسن قليلا وانه ظهرت آمال معينة بانعطاف ايجابي . اما اليوم فآسف جدا لانني لا استطيع قول ذلك (...) . يجب مواجهة الحقيقة (...) . لن اخفي انني خائب الامل وقلق لما يجري . لا يمكن الا ان يثير القلق لدينا الموقف الذي يبدو انه بدا يتكون في واشنطن . وذلك بسبب كل من الممارسة السياسية وتصريحات كبار شخصيات البيت الابيض . انه سيناريو الضغط ومحاولة حصرنا في الزاوية (...) . هدف اللقاء على اعلى مستوى هو المفاوضات ، ولكن المفاوضات على اساس المساواة وليس توقيع وثيقة استسلام » .

لم يكن تردي العلاقات السوفييتية ـ الامريكية ناتجا عن ازدياد جديد في حدة لهجة تصريحات كبار سياسيي البيت الابيض بمقدار ماكان ناجما عن الممارسة السياسية التظاهرية ـ الاستفزازية للادارة «الواشنطونية» . مثالان معبران: كان جواب الولايات المتحدة الامريكية على وقف الاتحاد السوفييتي لكل تجارب السلاح النووي بان اجرت نكاية بالجميع وبكل شيء تفجيرات نووية مسرعة جديدة ، وردا على اقتراح الاتحاد السوفييتي بفضاء سلمي اجرت اول تجربة قتالية بالسلاح المضاد للكواكب الاصطناعية .

تطلب الامر صبرا كبيرا وحكمة سياسية والتزاما بقضية السلم كي يمكن القول بعد كل هذا وقبل وقت قصير من لقاء جنيف ، كما فعل غورباتشوف في ٢٨ آب : « ولكن مازال يفصلنا عن لقاء القمة بعض الوقت ويمكن عمل الكثير كي يكون بناء ومفيدا ، لا يستطيع بلدانا السماح لنفسيهما بالوصول الى المواجهة

(...) . يجب كبح سباق التسلح والتوصل الى تطبيع العلاقات السوفييتية ــ الامريكية . حان الوقت كي تصبح العلاقات بين الشعبين الكبيرين لائقة بدورهما التاريخي ، على علاقاتنا يتوقف مصير كل الحضارة . نحن مستعدون للعمل بهذا الاتجاه » .

ولا تشكل الاتفاقيات المعقودة في جنيف، المعيار الرئيسي للقمة الاخيرة، بل بالدرجة الاولى انما السؤال هل بالامكان في السنوات القادمة كبح وتصفية الاتجاهات الخطيرة على خط الاتحاد السوفييتي ـ الولايات المتحدة الامريكية وفي العالم ؟ ان مكان اللقاء يدفع للتعميم التالي الختامي : كما كان الامر بالنسبة لقمة جنيف عام ١٩٥٥ كذلك لقاء غورباتشوف ــ ريغان عام ١٩٨٥ يملك فرصة تحديد بداية نهاية الحرب الباردة الثانية . هل هذا ما سيحدث ؟



حول تاريخ الحركة الصهيونية وعلاقتها بالاستعمار..

الرفيق محمد وحيد خياطة

اورد هنا بايجاز بعض الملامح الرئيسة لتاريخ الحركة الصهيونية، من دون الذهاب بعيدا في التفصيل ، لاعطاء فكرة شاملة وموسعة عن طبيعة هذه الحركة العنصرية ، وعلاقتها العضوية مع الاستعمار منذ نشوئها ، وبخطوط عريضة يمكن القول ان الصهيونية كحركة سياسية سعت الى قيام دولة يهودية على غرار الدولة التي كانت قائمة في عهد الرومان ، والتي قضت عليها روما بقيادة القائد الروماني تيتوس حوالي سنة ٧٠ م .

دعا هرتزل ، احد زعماء الحركة الصهيونية من امثال نورداو وحاييم وايزمان الى اول مؤتمر صهيوني دولي للاجتماع في بال بسويسرا اواخر القرن التاسع عشر، وقرر المؤتمر تشكيل منظمات صهيونية في كل دول العالم ، ثم تعاقبت مؤتمراتها ، وتحمس لها يهود شرق اوربا ، ودعمها يهود الولايات المتحدة ماليا ومعنويا .

وبعد محاولات فاشلة في عدة دول ومناطق في العالم كان القرار النهائي ، ان تكون فلسطين هي الدولة المنتظرة لجمع الشتات ، ثم جاء وعد بلفور عام ١٩١٧

الذي يقضي بالسماح لليهود بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، فتعززت بذلك مو... الحركة الصهيونية ، وبدأ اليهود بالهجرة الى فلسطين منذ بدايات القرن العشر... وتزايدت وتيرتها عام ١٩٢٢ ، حيث زاد عددهم خلال عهد الانتداب البريطا... في فلسطين العربية ، الى ان اصبح عددهم عام ١٩٤٧ لايستهان به ، لم ... بريطانيا المشكلة الفلسطينية على هيئة الامم المتحدة ، ونمت مؤامرة التقس... بين العرب واليهود ، ورفض العرب التقسيم، وعلى رغم ذلك اعلن عن قيام الدو... اليهودية في ١٤ ايار عام ١٩٤٨ ، فازدادت مشكلة فلسطين تفاقما ، ولاتزال تبـ... القلق وعدم الاستقرار في الوطن العربي والعالم باسره .

جذور فكرة الوطن القومي :

جاء في كراس سلسلة الاعداد الحزبي : رقم ٨ مايلي : « ان فكرة الاستيطـ... بدات تنتشر بعد حملات الاضطهاد التي تعرض لها اليهود في روسيا القيصرية عـ... عام ١٨٨١ ، وحيث بدات النزعة المعروفة في العالم باسم « اللاسامية » تقـ... اذانا صاغيـة في اوربا .

ونحب ان نضيف هنا أن ولادة الحركة الصهيونية لم تتم في مؤتمر بال بسويسر... عام ١٨٩٧ وان تيودور هرتزل لم يكن لها ابا ولا سيدا فقد سبق ذلك « الاتحـ... الاسرائيلي العالمي » الذي تأسس سرا في باريس عام ١٨٤٠ تحت رعاية اسرة روتشيـ... المصرفية ، واشهر هذا الاتحاد نفسه معلنا عن اهدافه في توطين اليهود في فلسطـ... عام ١٨٦٠ برعاية الامبرطورة الروسية يوجيني، وكان شعار الاتحاد، الكرة الارضـ... وعليها عصا موسى ونداؤه « كل اليهود يتعاونون مع بعضهم » ، ولم يكن الاتحـ... الاسرائيلي العالمي مجرد جمعية فرنسية خيرية بل كانت له مراكز كثيرة منتشرة في روسيا واوربا الشرقية،وهو تنظيم سياسي لحكومة يهودية عالمية توجه بلاد... سياسية الى التجمعات اليهودية لتعبئها خلف قيادتها ، وكان طابع هذا الاتحـ... طابعا سريا يستهدف ترسيخ عزل اليهود سياسيا ودينيا عن بقية السكان واتبا... سياسة . « كلما كانت الحالة سيئة كانت النتيجة افضل » .

وراح هذا الاتحاد يشيع الخوف بين اليهود ويهول لهم ضخامة المجازر التـ... كانت ترتكب ضدهم ليجعلهم ينقادون وراءه انقيادا اعمى ويشجعهم على الهجرة الـ... فلسطين . وهذا يعني ببساطة ان هرتزل في كتابه « الدولة اليهودية » لم يكن اصلا... بل تلميذا ، ولا عجب في ذلك فقد كان صحفيا يعمل لصالح صحافة روتشيلد في فيـ...

كما عمد الاتحاد الاسرائيلي العالمي الى توزيع الادوار في خدمة الصهيونية بين تنظيمات يمينية واخرى تتظاهر باليسارية للوصـــول الى الهدف الواحـــد .

يقول كراس سلسلة الاعداد الحزبي رقم ٨ مستطردا « ان فكرة الاستيطـــان ، ومشاريع الهجرة كانت الى ماقبل ظهور الحركة الصهيونية ذات طابع ديني وخيالي ، ولكن المنظمة الصهيونية التي بدات نشاطها الرسمي عام ١٨٩٧ اثر مؤتمرها الاول في بال بسويسرا ، كانت تعتمد ايديولوجية سياسية واضحة ، وتتبنى مخططات مدروسة، ولها استراتيجيتها وتكتيكها » ولا يتعرض الكراس للاسف الى التوسع والشرح فيمـا يخص النزعة العنصرية لنشوء الكيان الصهيوني ذي الطابع الديني الخيالي . يقـول كارل ماركس في مؤلفه « المسالة اليهودية » عام ١٨٤٣ حول الدين اليهودي مايلي :

« ان مايوجد في الديانة اليهودية ، بشكل مجرد ، هو احتقار النظرية والفـن والتاريخ ، واحتقار الانسان » وبما ان صراعنا مع العدو هو صراع حضاري فلابـد لكشفه من العودة الى جذور الجذور وليس فقط الى اواخر القرن التاسع عشـــر والحركة الصهيونية المنظمة ، فالحركة قامت اصلا على ادعاءات رسـل الصهاينة الاوائل ، انبياء التوراة وكهنتها ، اساتذة هرتزل وغيره من مؤسسي فكرة العـودة الى ارض الميعاد التوراتيـة ، فلا نستغرب الان ان يعلن الاباء الايديولوجيـون للصهيونيـة ان « اليهودية ليست سوى كلمة وراية ، توحد خلفها بـين مـلايين الناس الموزعين على وجه الارض (١) » .

وتقول احدى وثائق « الاتحاد الاسرائيلي العالمي » ان « اليهودية عبارة عن بديهيـــة دينية وسياسية »وهكذا نرى ان الصهيونية تعتمد في بث ايديولوجيتها العدوانية ذات النزعة العنصرية على كتب التوراة ، مستغلة في ذلك التعاطف الديني لجموع المتدينين في العالم المسيحي والاسلامي ، وقد ساعدهم في ذلك عدم وجود فكرنقدي موضوعي لتبيان مزاعم الفكر اليهودي المتجسد في الحركة الصهيونية اليوم .

وقد عمموا مزاعمهم على العالم كله ، ونسبوا الى انفسهم الاصالة في الفكـر والعراقة الممتدة الى جذور التاريخ ، واستغلوا اساطير التوراة حول « الاختيـــار الالهي » لمعتنقي اليهودية ، وايهامهم على طريق المناقشات بصحة « الرسالة الخاصة لليهود في المجتمع البشري » .

وبالاضافة الى ذلك فان تعليم الشبيبة اليهودية وتربيتها كان يتم في دور للتعليم ذوات طابع ديني ، وحيث تحشى ادمغة الشبيبة بفكرة « الشعب المختار » الذي يقوم بتنفيذ « رسالة خاصة » على الارض .

١ ــ دائرة المعارف اليهودية المجلد الاول ، صفحة ٦٢٢ .

وقد فضح لينين جوهر الشعار الصهيوني « الثقافة القومية اليهودية » ، واطلق عليه اسم شعار البرجوازية اليهودية ، وشعار الحاخامات الذي يستهدف توحيد اليهود من مختلف بلدان العالم باسم « وحدة الثقافـــة » .

ولا ريب ان كثيرا من المثقفين قد غرروا بالشعارات الانسانية الزائفة التي تروجها اجهزة الدعاية الصهيونية حتى ان الكاتب الكبير مكسيم غوركي ذهب لحضور احد الاجتماعات الصهيونية ، وقد اسقط في يده ، عندما اعلنت الخطبية ان المؤتمر قرر عدم السماح « للجوييم » (غير اليهود) بالدخول الى الاوساط الصهيونية ، وقد اعلن الكاتب بكل سخط ، ان الصهاينة يقومون — تحت ستار المثل الاعلى — بإثارة العداء والكراهية بين الامم ، ويزيدون من الضغائن المتبادلة بينها .

وقد فوجىء الراي العام بهذه الفضيحة ، واضطرت الصحافة الصهيونية ، وخلال وقت طويل ، تسوغ ماحدث ، مؤكدة ان هذه الوقائع غير صحيحة .

لقد وعى الرفيق القائد ، الامين العام للحزب ، اهمية الفكر التوراتي واثـــره في الايديولوجيـــة الصهيونيـــة المعاصرة لحكام «اسرائيل» فقال في كلمته التاريخية التي القاها في مؤتمر القمة السابعة لدول حركة عدم الانحياز في الهند ما يلي :

(أن في اقوال حكام « اسرائيل » وتصرفاتهم ووثائقهم مالايترك فرصة للبس أو غموض في تأكيد عنصرية الصهيونية وتوسعيتها ، واورد على سبيل المثال لا الحصر ، بعض اقوال أحد هؤلاء الحكام اطلقها في وقت قريب ، فخلال زيارته لباريس ، وفي لقاء صحفي بتاريخ ١٦ حزيـــران ١٩٨٢ ، رفض وزير خارجيـــة «اسرائيل» تحديـــد حـــدود «اسرائيل» الجغرافيـــة وقال ان هناك حدودا تاريخيـــة لـ « اسرائيل » كما جاءت في التوراة . وبتاريخ السادس من كانون الاول ١٩٨٢ قال الوزير نفسه في كلمة القاها امام اعضاء المؤتمر الدولي لحركة حيروت ، وهي احدى الحركات الصهيونية الارهابية اذا سألوني لماذا تقول ان ارض «اسرائيل» هي امتـــداد «اسرائيل» الى الحدود المذكورة في التـــوراة ، فان ردي سيكون هذا هو واقع الامر ، وهـــذا كل مافي الامر واخيرا ومنذ ايام قليلة بتاريخ ٢ — ٣ — ١٩٨٣ وفي « البرلمان الاسرائيلي » قال الوزير المذكور ان يهودا والسامرة (يقصد الضفـــة الغربيـــة) ، جزء لايتجزأ من ارض « اسرائيـــل » في حدودهـــا التي وردت في التـــوراة ، واضاف

انه لن يحدث ضم لهذه الاراضي ، فنحن لانضم ما هو ملك لنا . ودعوني اذكر فقرة واحدة مماجاء في توراة «اسرائيل» لتتبينوا حدود الدولة المقصودة والتي يريدها «اسرائيل» وزعماؤها . تقول الفقرة حرفيا : «في ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهام ميثاقا قائلا : لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات : القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والاموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين» .
فهل يعقل ان يظلم الله الناس بهذا الشكل ، فيشرد عشرة شعوب من اوطانها ليحل محلها شعبا آخر !! بعض اصحاب الديانات الاخرى يقولون ان التوراة التي تتحدث منها « اسرائيل » ليست هي التوراة الصحيحـــة .

من البديهي انني هنا لا اناقش مسالة دينية ، فهذه لا شأن لنا بها ، وليست موضوع بحثنا ابدا ، ولكل فرد ان يعتقد بما يشاء ، ومن المعروف ان الامة العربية تضم في صفوفها وبين ابنائها ومنذ القديم منتمين الـــى مختلف الديانات ، ولكنني فقط اردت ان اشير الـــى بعض من القاعدة الفكرية «الايديولوجية» التي تتمسك بها وتنطلق منها الصهيونيـــة ووليدتها « اسرائيل ») .

يطالعنا الرفيق الامين العام للحزب مطالعة حضارية تمس جذور مشكلة الانسان العربي وصراعه مع الفكر التوراتي المنحاز والمسيس لصالح العنصرية الصهيونيـــة ، واذا كان ورد على لسان الرئيس قوله ان « بعض اصحاب الديانات الاخرى يقولـــون ان التوراة التي تتحدث عنها « اسرائيل » ليست هي التوراة الصحيحة » ، ونضيف بان الاسلام ليس وحده الذي انكر صحة التوراة ، فالدراسات النقدية الجادة اثبتت الكثير من التحريف والتغيير والتزوير في نصوص التوراة ، وقد قام بهذه الدراسات كبار علماء اللاهوت والكنيسة وعلماء الفكر النقدي في اوربا .

لقد عمد الفكر اليهودي المسيس منذ ان وعى حقيقة تقوقعه وابتعاده عـــن الانخراط في اي مجتمع من المجتمعات الحضارية الى بث فكرة الوعـــد الالهي بالارض — ارض الميعاد — فاصبحت هذه الفكرة عامود الديانة اليهودية والاســـاس الـــذي ترتكز عليه الدعاية الصهيونية اليوم .

ومنذ امد بعيد ونحن نحاول ان نميز بين مفهومين : اليهودية كدين والصهيونية كحركة سياسية ونضع حدا فاصلا بينهما دون ان ندرك ان الاساس الفكري للصهيونية مستمد من الفكر التوراتي العنصري ، وكان العقد التي زرعتها الشخصيات الصهيونية

المتقدمة اقتصاديا وسياسيا في ارجاء العالم الغربي ، قد انتقلت الينا ايضا ، ر[illegible] نخشى ان نتهم باللاسامية « رغم اننا ساميون بنظر اليهود والعالم » ودلينا لبما [illegible] ان نتحمل جرائم النازية الجديدة التي لاتقل عنفا ووحشية من كل الحركات ال[illegible] الظالمة التي ظهرت عبر التاريخ . تقول احدى الوثائق السرية في المنشورة [illegible] معاداة السامية مايلي : « أن معاداة السامية — تفيد في بث الرعب في صفوف ال[illegible] الذين سيطيعوننا بشكل أفضل بعد ان يفرضهم الجوييم (غير اليهود) ، وندافع [illegible] عنهم ، ويكون الجوييم في هذه الحالة قد قاموا بدور الكلاب التي تسوق تطيع[illegible] يجب ان تنتبهوا الى أن معاداة السامية لم تسيء الينا ابدا ، ولم تحط ابدا من اية مؤسسة من مؤسساتنا بل كانت توجه دائما ضد بروليتاريينا ، اي [illegible] الغوغاء » (1) .

ان الايديولوجيةالصهيونية تعتمد اعتماداكليا ووثيقا على المفهوم الديني[illegible] الرجعي اللا انساني ، واليهودي المؤمن هو ذلك الذي يتمسك بكل اعراف وتقا[illegible] وموروثات البدائية الدينية غير المتطورة .

ان اكثر ماتخشاه «اسرائيل» ويؤرق فكر زعمائها ، هو ابتعادالجيل الناش[illegible] الفكر الديني لان ذلك سوف يفقدها المبرر الحقيقي لوجودها،ويرى هؤلاء ان [illegible] نسبة اللادينيين المتزايدة خطرا بالغ الحدة ، يهدد الوحدة الوطنية ، وقد يؤدي [illegible] انقسام الشعب اليهودي .

لذلك يصر المنظرون الصهاينة على ربط الفكر الصهيوني بتعاليم التوراة [illegible] ايديولوجيته ذات منظور سياسي تسعى الى فرض الهيمنةالاستعمارية والا[illegible] والسياسية داخل المحيط الجغرافي العربي .

واصبح قول يهوه لابراهام منَ الفرات الى النيلَ شعارا سياسيا على [illegible] الكنيست الاسرائيلي .

● الصهيونيــة كحركــة سياسيــة :

ذكرنا ان نواة الفكر الصهيوني مستمد من الفكر الديني اليهودي ا[illegible] المتطرف ، وللخروج من المنطلق الديني ذى الافق المحدود كان لا بد من اطار[illegible] يخرج به الى العالم ليكون مقبولا ومعترفا به ، وهذا ما استطاع ان يقوم [illegible] هرتزل احد اقطاب الحركةالصهيونية خير قيام ، فمنذ عام ١٨٩٥ اقترح هرتز[illegible] ابن تاجر ثري اقامة « ملكية دستورية » او « جمهورية ارستقراطية » في [illegible] حيث تستطيع البرجوازية اليهودية ان تنهب ابناء ديانتها بدون اي رادع [illegible]

١ — الارشيف المركزي للاتحاد السوفييتي .

في كتابه « الدولة اليهودية » (ان اليهود الاثرياء الذين يضطرون الآن الى اخفاء كنوزهم واقامة الولائم وراء الستائر المسدلة ، سوف يتمكنون في دولتهم من الاستمتاع الحر بالحيــاة) .

ولقد ربط زعماء الصهيونية تحقيق ماربهم بعقد صفقة تجارية مـع السلطـان التركي عبد الحميد والقيصر الالماني غليوم الثاني والبابا بيوس العاشر وملكي بريطانيا وايطاليا ، وقد عرض هرتزل على السلطان عبد الحميـد تقديم خدمـات الصهاينة في قمع نضال عرب فلسطين في سبيل الحرية .

وقد أستغل الصهاينة فكرة العداء للسامية للدعوة الى فكرتهم ، وزعموا ان الصهيونية جاءت كرد فعل لمعاداةالسامية والتي اعتبروها ابدية مادام لليهود وجود بين قوميات اخرى ، ورفضوا الحل الماركسي للمشكلة اليهودية ، واعتبروه ليس قادرا على تفسير اسباب معاداة السامية ، ويتجاهل اللا معقول في السيكولوجية البشرية ، فالعداء العنصري والكراهية بين الشعوب انما يلازمان حتما مع المجتمع البشري ، ويقبعان في اعماق اللاوعي البشري .... في التكوين النفسي .

وفي معرض دحضه « لاسطورة الصهاينة حول ابدية معاداة السامية » اشار لينين الى ان ذلك يعتبر احد اشكال القهر القومي والعنصري ، وان معاداة السامية ترجع الى نفس الاسباب العامة التي تفضي الى اضطهاد وقمع القوميات الاخرى (كالاضطهاد العنصري للزنوج واستعباد شعوب البلدان النامية ،وقد رد[illegible] على مزاعم الدعاةالصهاينة بان اليهود هم «انقى جنس خلقه الله» بان العلم لايعرف اصل اليهود القدماء وان الخصائص القومية بل والعنصرية لليهود مرفوضـة من جانب الابحاث العلمية المعاصرة ... ولا يوجد في الطبيعة نمط عنصري محدد لليهودي .

وروجت الدعاية الصهيونية فكرة جمع الشتات في ارض الميعاد بالعبارة التقليدية «يهود الشتات يحتاجون الى دولة اسرائيل» ، وقد ادى افلاس السياسةالخارجية للحركة الصهيونية الى وضع نظريات جديدة لتربط يهود العالم بدولة «اسرائيل» فطرحت الشعار التالي : « دولة اسرائيل تحتاج الى يهود الشتات » اي حاجتهـا الى سائر اشكال المؤازرة من اليهود الذين بقوا خارج اسرائيل » .

علاقة الصهيونية بالاستعمار :

ان ارتباط الحركة الصهيونية بالاستعمار ارتباط ايديولوجيوعضويكما راينا.

وان جذور الفكر الصهيوني ترتبط بالفكر العنصري ، ولا يمكن ان يعيش هـــذا الفكر وينمو الا في وسط مثيل ، وهذا ما دعا اقطاب الحركة الصهيونية الى تقديم

الخدمات الى كل مستعمر يقدم لهم يد العون في تحقيق اهدافهم ، فحاولوا قد
شيء ممكن لاية دولة استعمارية ، يمكن ان تتبنى دعوتهم في انشاء وطن قومي ل
حتى كان وعد بلفور المشؤوم ، وعندما شعرت «اسرائيل» بعد ان فرضت ك
بوجود قوة أعظم من قوة بريطانيا اتجهت الى هذه القوة ، وبدأت تتعاون معه
وتقدم لها جل ما يمكن ان تقدمه دولة صنيعة لسيد اكبر الا وهو الولايات ا
الامريكية ، وعلينا ان نفهم طبيعة هذه الحركة الصهيونية ، ولا نستغرب اا
واتصالاتها ، فهي السند القوي لكل نظام عنصري كما في جنوب افريقيا ، ولك
دكتاتوري كما هو الحال في امريكا اللاتينية .

لقد ولدت الصهيونية على يد الرأسمالية اليهودية لتكون اداة لها ، وق
الصهاينة عام ١٨٩٨ ما يلي :

« ان الصهيونية لم تعان طيلة تاريخها الطويل من عدو ا
.. الاشتراكية ...التي هي بالنسبة لليهودية عدو مميت ،
تمتص اليهود ، والطريق اليها يمر عبر جثة اليهودية ، ويجب الق
الذاتي على كل التقاليد اليهودية لكي يصبح الانسان مؤيدا له
... ومهما كان الشكل الذي تتبلور فيه الاشتراكية ـ الاب
القومية ــ فهو مميت في كلتا الحالتين ، في الحالة الاولى لليهودية
الثانية لليهودية واليهود » .

وفي هذه الحالة لا نستغرب اطلاقا ان تعادي الصهيونية الماركسية ، و
نفسه يهودي المولد والنشأة ، اممي الفكر والايديولوجية ، عدو لدود لل
الميتافيزيقي الذي يستمد منه الصهاينة نسغ دعوتهم ، وهم الان ليسوا الا
للفكر الماركسي التقدمي .

وهل يثير استغرابنا الان ــ بعد ان عرفنا ما يجب ان نعرفه من زمن ـ
على وثيقة تاريخية كشفت عنها ثورة اكتوبر الاشتراكية ، وتتضمن كيف
الصهاينة ــ بعد ثورة شباط في روسيا ــ منع الانتقال الى الثورة الاشتراكية ،
اقطاب الصهاينة على الهيئة الحربية للحكومة المؤقتة تشكيل قوات يهودية
١٠٠ الف يهودي ، وارسالها الى الجبهة تحت راية الصهيونية البيضاء
ونجم داوود ، وتحت شعار :

« من اجل روسيا الحرة »

« من اجل الديمقراطية المتحدة »

« من اجل فلسطين اليهودية المستقلة » .

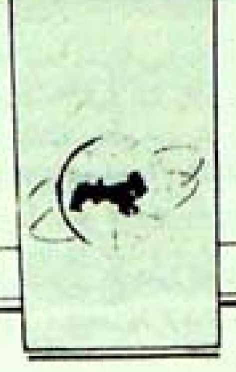
المراجـع :

(١) سلسلة الاعداد الحزبي رقم ٨ : الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في « اسرائيل » ١٩٦٩ .

(٢) دار التقدم ــ ١٩٧٥ ــ الاتحاد السوفييتي : الجوهر الرجعي للصهيونية ي.س. يفسييف ول . فوستكوكوف : الصهيونية في روسيا القيصرية ترجمة هاشم حمادي ــ دمشق ١٩٧٦ . منشورات الثقافة .

(٣) محمد وحيد خياطة : وعود « الهة اسرائيل الكاذبة » مجلة المعرفة العدد ٢٤٧ ايلول ١٩٨٢ .

(٤) شاكر مصطفى : ماذا في تل ابيب ؟ سلسلة محاضرات لعامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ في دار الكتب الوطنية بحلب .



النضالات والثورات الفلسطينية

منذ الحرب العالمية الأولى وحتى عام ١٩٤٨

وموقف حزبنا من مراحل النضال الفلسطيني

الرفيق طه عبدالجابر

مع بداية هذا القرن كانت هناك مجموعة جديدة من الافكار والمعطيات قد اخذت تتبلور ازاء مصير المنطقة العربية .

فالدولة العثمانية التي كانت تحتل معظم الوطن العربي اخذت تهزها بعنف رياح التغيير الداخلي والخارجي ، والحركة الصهيونية العالمية كانت في بدء نشاطها وتحركها لتامين قيام الدولة اليهودية الغريبة في فلسطين العربية تنفيذا لتوصيات مؤتمراتها التي بدأت انعقادها تحت زعامة الصهيوني تيودور هرتسل في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ حيث شملت تحركاتها معظم الدول الكبرى آنذاك ومنها بريطانيا العظمى والمانيا القيصرية والسلطنة العثمانية لتامين تغطية سياسية شاملة لتحقيق اطماعها باقامة دولتها المنشودة .

ومنذ ذلك الوقت بدأت الهجرة والاستيطان اليهودي بان تاخذان شكلهما الواقعي التدريجي على ارض فلسطين وعند قيام الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ وقفت تركيا الى جانب المانيا ضد بريطانيا وفرنسا حيث احسن الانكليز استغلال عواطف العرب وطموحهم في الاستقلال عن الدولة العثمانية ، في وقت كانت فيه الحركات القومية العربية قد نشطت واشتد عودها ، ووجدت هذه الحركات فرصة سانحة لتحقيق الاستقلال ، وهكذا تم اعلان الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦ ، بعد أن تم ابرام اتفاق بين هذه الثورة وبريطانيا لقيام الدولة العربية الموحدة في نهاية هذه الحرب .

ولم تكد بريطانيا تبرم اتفاقها هذا حتى دخلت — وفي عام اعلان الثورة العربية نفسه — في مفاوضات مع فرنسا نجم عنها اتفاقية (سايكس — بيكو) التي قسمت بموجبها المنطقة العربية بينهما، حيث نالت بريطانيا — من جملة ما نالت — بموجب هذه الاتفاقية حق الاشراف على ميناءي حيفا وعكا وانشاء ادارة دولية في فلسطين .

وقبل أن يفيق العرب من هول صدمة اتفاقية سايكس — بيكو أصدرت الحكومة البريطانية « وعد بلفور » في الثاني من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧ ، والذي يمنح اليهود وعداً باقامة دولة لهم في فلسطين ومن ثم قامت بريطانيا بوضع فلسطين تحت حمايتها وانتدابها المباشرين حيث دخل الجنرال اللنبي بقواته اليها سنة ١٩١٨ ، وتوجه مباشرة الى مدينة القدس حيث قال كلمته اللئيمة المشهورة :

« الآن انتهت الحروب الصليبية » .

* وعد بلفور والحلف البريطاني — الصهيوني :

جاء صدور اعلان بلفور في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ على شكل كتاب موجه من السير آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا الى اللورد روتشيلد المتمول الصهيوني البريطاني وجاء في مقدمة هذا الاعلان :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف* الى تأسيس وط
قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تح
هذه الغاية » . وهكذا من لندن وعلى بعد آلاف الاميال من فلسـ
وضع الساسة البريطانيون تصريحا من ٦٧ كلمة اقطعوا فيها فلسـ
لمستوطنين غرباء لم يسبق لهم ان راوها من قبل وسلخوها مـ
تاريخها الطويل وشعبها العريق .

وقد احدث هذا الاعلان قدرا كبيرا من التوتر في العلاقات بـ
العرب واليهود في فلسطين والى تزايد حالة الشعور بالعداء والغضـ
للانكليز .

وكانت الخطوة التالية هي تحويل وعد بلفور الى التزام يدخل
حيز التنفيذ حيث بدأ تبريطانيا تسير حثيثا في مخططات تهويـ
فلسطين ، وكانت اولى خطواتها تعيين الوزير اليهودي البريطا
الصهيوني « هربرت صموئيل » مندوبا ساميا لها في فلسطين وفي
١٩٢٢ اقرت عصبة الامم صك الانتداب على فلسطين حيث ا
وعد بلفور في مقدمة هذا الصك الذي وضع موضع التنفيذ عام ١٩٢٣
واعتبرت بريطانيا بموجبه مسؤولة عن تنفيذ ذلك الوعد .

ولقد كان تعداد اليهود من اصل السكان في فلسطين سنة ١٩١٨
بشكل نسبة ٨٪ منهم ليرتفع بعد ٥ سنوات من الوعد الى نسبة ١٢٪

وبدأ الشعب العربي الفلسطيني مطالبته بالغاء وعد بلفور وقاو
بعنف الهجرة اليهودية وتجلى ذلك بالاضراب الشامل عند زيارة بلفو
لفلسطين عام ١٩٢٥ واعتبار يوم وصوله يوم حداد وطني ، كما كانـ
زيارة بلفور لدمشق بعد فلسطين مناسبة رائعة لاظهار التضا
العربي اذ قوبل بمظاهرات شعبية واسعة النطاق مما اضطـ
السلطات الفرنسية لتهريبه من دمشق تحت حراسة مشددة خوفـ
على حياته .

ومما اثار انزعاج السلطات البريطانية ـ كرد على وعد بلفور ـ هو مناداة الفلسطينيين بوحدة سورية وفلسطين ، حيث تم توقيع العرائض في مختلف انحاء البلاد يلتمس فيها موقعوها ان تصبح فلسطين مشمولة رسميا في سورية .

* ثورة العشرين « ثورة القدس الاولى » :

في شباط عام ١٩٢٠ جرت مظاهرات عربية سياسية كبرى في القدس بسبب اتساع نطاق الهجرة اليهودية ، واتخذت هذه المظاهرات طابعا عنيفا ضد اليهود ، حيث حصل اول احتكاك بينهم وبين العرب نتج عنه اصابة العديد من اليهود .

وفي الاول من آذار عام ١٩٢٠ شنت مجموعتان من الفلسطينيين المسلحين اول هجوم عسكري على مستوطنتين يهوديتين هما « المطلة وتل حي » وقد قام بتنظيم هذا الهجوم الفلسطينيون الموجودون في دمشق قتل بنتيجته سبعة صهاينة ، وكان هذا الحادث انعكاسا للمزاج السياسي الراهن ومؤشرا للحوادث المقبلة التي بلغت ذروتها في مدينة القدس في موعد احتفالات « موسم النبي موسى » حيث كانت المواكب من مختلف البلدان الفلسطينية تتوجه نحو المدينة المقدسة ، وقد اطلق بعض افراد اليهود المسلحين النار على هذه المواكب ، مما ادى لنشوب انتفاضة عربية عارمة ، واستمرت اعمال العنف المتفرقة واعلنت الاحكام العرفية ، وسقط العديد من القتلى والمئات من الجرحى من اليهود والعرب والبريطانيين .

وقد اعترفت بريطانيا بعد هذه الثورة بأن عرب فلسطين يكنون عداء مريرا لبريطانيا ولليهود ، وكان رد الفعل اليهودي على هذه الثورة هو نشوء وحدات يهودية عسكرية عرفت بـ « الهاجاناه » ـ التي كانت نواة وفيما بعد لجيش العدو الصهيوني . واخذت هذه الوحدات تتدرب وتتسلح بصورة علنية وبرضاء السلطات البريطانية .

* ثورة يافا :

في نيسان ١٩٢١ وقعت اصطدامات بين المتظاهرين والبوليس البريطاني بمدينة حيفا بسبب اتساع نطاق الهجرة اليهودية لفلسطين وما لبثت أن امتدت ذيول هذه الاصطدامات الى يافا حيث وقعت بها ثورة عنيفة وواسعة بلغ عدد قتلاها وجرحاها مايزيد على مئتين اكثرهم من اليهود ، وامتدت الاشتباكات الى المستعمرات الواقعة بين يافا وطولكرم ، وكشفت هذه الثورة أن الاسباب الحقيقية لها هو استياء العرب من وعد بلفور والهجرة اليهودية ، ومزاحمة اليهود لهم في وطنهم ومحاباة الانكليز للصهاينة وانحيازهم التام لهم .

وحدث في سياق هذه الثورة ان تجمع نحو ثلاثة آلاف عربي الى الشمال من يافا لمهاجمة مستعمرة بتاح تكفا « قرية ملبس العربية » لكن قوات الحكومة تولت صد المهاجمين والحقت بهم خسائر فادحة بلغت نحو ٦٠ قتيلا ، وبهذا وصل عدد الشهداء العرب في ثورة يافا الى ١٠٨ شهداء .

وكان من ابرز نتائج هذه الثورة هو عقد المؤتمر الفلسطيني الخامس سنة ١٩٢٢ الذي تبنى الميثاق الوطني الفلسطيني حيث تعهد المندوبون بالتمسك به واقسموا اليمين التاريخي على ذلك وهو:

« نحن ممثلي الشعب العربي الفلسطيني في المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس المعقود في نابلس نتعهد امام الله والتاريخ والشعب على ان نستمر في جهودنا الرامية الى استقلال بلادنا وتحقيق الوحدة العربية بجميع الوسائل المشروعة وسوف لا نقبل باقامة وطن قومي يهودي او هجرة يهودية » .

* ثورة البراق « ثورة ١٩٢٩ » ، « ثورة القدس الثانية » :

لقد شهد المسرح السياسي الفلسطيني خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٢٨ فترة من الهدوء والركود والشلل بسبب ماظهر

من عدم احراز الوطن القومي اليهودي في فلسطين قدرا كبيرا من النجاح العملي .

وقبل نهاية عام ١٩٢٨ بدات فترة الركود السياسي هذه تشرف على نهايتها بتجدد محاولات اليهود لشراء الاراضي العربية وجمع الاموال وتعزيز بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وكان ذلك مقدمة للشرارة التي الهبت اضطرابات شهر آب ـ ١٩٢٩ التي تولدت من مشكلة اماكن مقدسة الا وهي مشكلة « البراق » والذي يطلق عليه اليهود اسم « حائط المبكى » .

فالبراق يطلق على مكان ملاصق لجدار الحرم الشريف في القدس وفيه باب ، جرت التقاليد الاسلامية على اعتباره الباب الذي دخل منه النبي في اسرائه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى راكبا الدابة المعروفة في هذه التقاليد بالبراق .

وقد جرت تقاليد اليهود على اعتبار هذا الجدار بقية من هيكل سليمان وعلى تقديسه واقامة بعض الشعائر الدينية والبكاء عنده وعرف لديهم بـ « حائط المبكى » من اجل ذلك .

وكانت الشرارة التي اشعلت هذه الثورة هي محاولة اليهود السيطرة على حائط البراق وهو من ممتلكات المسلمين المقدسة ويشكل الحد الغربي من الحرم الشريف . واستماتت العرب بالدفاع عن حقوقهم ، وقامت المظاهرات اليهودية والعربية الصاخبة ، واخذ الفريقان يتربصان احدهما بالاخر ، وما لبثا ان اشتبكا في احياء القدس وضواحيها ثم سرت النار الى يافا وما حولها من قرى ومستعمرات ، ثم الى الخليل وصفد وغيرها . واستمر التوتر والصدام والغليان نحو اسبوعين .

وقد تجاوز عدد الضحايا ٢٠٠ قتيل و ٦٠٠ جريح اكثرهم من

اليهود ، وكانت اكثر اصابات العرب ناجمة عن اشتباكهم مع البوليس البريطانـــي .

وقد قتل اليهود بعض الاطفال والنساء العرب حيث داهموهم في محلات منعزلة قريبة من مستعمراتهم ومناطق سكناهم .

وقد حكمت السلطات البريطانيه على عدد كبير من العرب باقصى العقوبات ونفذت احكام الاعدام شنقا بالابطال الثلاثة :

فؤاد حجازي من صفد وعطا الزير ومحمد جمجوم من الخليل.
والذين ضربوا أروع الامثلة في الشجاعة وهم يواجهون مصيرهم حيث كانوا لا ينفكون عن انشـــاد الاناشيد الحماسية والاهازيـــج الوطنية ، واصبحت بطولاتهم مضرب الامثال لدى شعبنا ، وذكرياتهم اغاني واهازيج تتردد على كل لسان وفي كل مناسبة .

وقد حركت هذه الثورة المشاعر العربية فقامت في كل من سورية والاردن والعراق المظاهرات الشعبية الاحتجاجية وكان من نتيجة هذه الثورة مـــا يلي :

— اصدار الحكومة البريطانية كتابا ابيض يقر بملكيـــة العرب للمكان الذي تم التنازع عليه .

— اتضاح حقيقة اولى لعرب فلسطين انه يجب محاربة بريطانيا اذا اريد للصراع ضد الصهيونية ان يحقق اهدافه .

— اتضاح حقيقة ثانية هي جبن الزعامات الفلسطينية التقليدية وعدم قدرتها على قيادة الجماهير في الصـــراع ضد الصهيونيـــة والسياسة البريطانية في فلسطين .

※ انتفاضة ١٩٣٣ وسنوات التحضير للثورة الكبرى ١٩٣٠ــ١٩٣٥ :

— بدات اعتبارا من سنة ١٩٣٠ تظهر في فلسطين نواة التنظيمات المسلحة بين صفوف الفلاحين لمواجهة الموظفين اليهود والبريطانيين

وخاصة في منطقتي حيفا ونابلس وكذلك لملاحقة عملاء الانكليز مـــن العرب واغتيال الاشخاص الذين يعتقد انهم يعملون ضد المصالـــح الوطنيـــة .

وكانت اهم هذه التنظيمات ماعرف بـ « عصابة الكف الاخضر » بزعامة احمد طافش التي شنت اول هجوم لها على الحي اليهودي في مدينة صفد بالتعاون مع انصارها داخل المدينة ، وعززها انضمام عدد من ثوار جبل العرب في سورية لها والذين نزحوا من الجبـــل سنة ١٩٢٥ الى فلسطين هربا من بطش الفرنسيين بهم .

وامتد نشاط الكف الاخضر من صفد الى عكا ، ولكن بسبب تعاون السلطات الفرنسية والبريطانية وضعف تنظيمها ، واعتقـــال معظم قياداتها جعل امكانات اتساع المقاومة المسلحة وامتدادهـــا لمناطق اخرى امرا متعذرا ، ومن ثم الى فشل الكف الاخضر في نهاية المطـــاف .

— وفي منتصف عام ١٩٣٢ قام حزب « الاستقلال » الذي كـــان عزة دروزة وصبحي الخضراء من مؤسسيه الاوائل وكان هذا الحزب مناهضا للسياسة البريطانية بصورة ســـافرة وكانت مواقفـــه السياسية متقدمة على المواقف السياسية للحركات والزعامـــات السياسية التقليدية وهو اول حزب يضمن برنامجه السياسي وحدة فلسطين مع سورية .

— وفي هذه الفترة تعاظمت الهجرة اليهودية لفلسطين وقامـــت انتفاضة عام ١٩٣٣ في مختلف مدن فلسطين حيث ابتدات بتجمـــع العرب في مرفا يافا العربي احتجاجا على وصول البواخر المحملـــة بالمهاجرين اليهود ، وبنتيجة هذه الانتفاضة قتل ٢٦ مواطنا عربيـــا وجرح ١٨٧ .

والحقيقة ان احداث عام ١٩٣٣ كشفت النقاب عن وجود تصميم متصاعد لدى الفلسطينيين للمقاومة ، فقد شغلت هذه الاحـــداث

اسبوعا لم يسبق له مثيل من حيث قوة الاضرابات والاصطدامات مع قوات الحكومة في مختلف انحاء فلسطين مما دل على عمق المشاعر العربية ضد سياسة الوطن القومي اليهودي ، ثم انها برهنت على ان العرب مصممون على اللجوء للعنف للحيلولة دون تنفيذ مضمون صك الانتداب وان هدفهم الحقيقي هو الاستقلال الوطني .

وكان رد الفعل لانتفاضة عام ١٩٣٣ ــ التي كانت بقيادة المناضل موسى كاظم الحسيني الذي قضى نحبه اثناء الانتفاضة ــ في الاقطار العربية المجاورة قويا الى حد يلفت النظر ، فقد غدت فلسطين محور الاهتمام العربي ومركز الاستقطاب للمشاعر القومية العربية.

وفي عام ١٩٣٣ ايضا تم تشكيل منظمة مسلحة ــ سنرى لاحقا فعالية وتأثير اعمالها ــ هي « **منظمة الجهاد المقدس** » بقيادة شاب ثائر هو « **عبد القادر الحسيني** » الذي كان على اتصال بمجاهد كبير آخر هو **الشيخ عز الدين القسام** .

* ثورة القسام :

القسام هو محمد عز الدين بن مصطفى قسام من اهالي بلدة جبلة التابعة لمحافظة اللاذقية وولد فيها سنة ١٨٨٣ .

شارك في ثورة الشيخ صالح العلي ضد الفرنسيين سنة ١٩١٨ والمعروفة بـ « ثورة الحفة » وتولى قيادة الثورة في منطقة جسر الشغور .

وبعد انتكاسة هذه الثورة هاجر الى حيفا بفلسطين سنة ١٩٢١ حيث وقف هناك بوصفه رجلا وطنيا ضد الصهيونية والحكم البريطاني ، وفي عام ١٩٢٩ اخذ يتجول في قرى شمال فلسطين بوصفه موظفا في المحكمة الشرعية بحيفا واجرى اتصالات بفلاحي هذه القرى واستطاع تجنيد بعض العناصر الثورية التي نظمها في خلايا سرية لا يتجاوز عدد افراد الخلية الواحدة منها خمسة افراد .

وبعد حوادث عام ١٩٣٣ بدأ بجمع التبرعات لابتياع كميات صغيرة من الاسلحة استعدادا للقيام بثورة ضد الحكومة البريطانية التي اعتبرها الحامية الحقيقية للصهيونية في فلسطين ، وحافظ القسام في اتصالاته واعداداته على السرية التامة مع ضرورة التحضير الجيد لقيام ثورته .

وتجدر الاشارة الى ان ثوار فلسطين في مطلع الثلاثينات كانوا من تلامذة القسام واعضاء في تنظيماته السرية ، ولكنهم لم يوافقوا استاذهم في ما ذهب اليه من ضرورة المزيد من التحضير والاعداد قبل اعلان الثورة وهذا هو ــ كما سنرى لاحقا ــ السبب الرئيسي في اجهاض ثورته .

وكان معقل القسام هو الحي القديم من حيفا حيث يسكن فقراء الفلاحين الذين كانوا يكنون له ابلغ الاحترام .

وبحلول عام ١٩٣٥ كان القسام قد نظم ٥ لجان لتحقيق الاغراض التالية :

ــ الدعاية ــ التدريب العسكري ــ التموين ــ الاستخبارات ــ العلاقات الخارجية .

وقد جند القسام نحو ٢٠٠ مقاتل ونظم ٨٠٠ من الانصار في شمال فلسطين وارسل الى المفتي الحاج امين الحسيني طالبا منه اعلان الثورة في الجنوب في الوقت نفسه الذي يعلنها هو في الشمال، وقيل ان المفتي اجابه انه يؤثر التوصل الى حل سياسي على اللجوء الى ثورة مسلحة .

على ان توالي الاحداث عام ١٩٣٥ واشتداد الخطر باتساع وتفاقم الهجرة اليهودية وبيع الاراضي دون اي جهد من الانكليز

لوقفه ، اجبر القسام على البدء بثورة مسلحة ضد البريطانيين والصهيونيين خلال شهر تشرين الثاني من ذلك العام .

وبينما كانت القيادات التقليدية تكشف من مواقفها المتخاذلة الهزيلة ازاء ما يجري ، غادر القسام حيفا يرافقه ٢٥ رجلا من انصاره المسلحين قاصدا احراش يعبد في جنين .

ونظرا لضعف التنظيم وعدم تمكن القسام من تعميم دعوته ومن ثم انكشاف امرها للسلطات وقع حادث عرضي بين بعض رجال القسام وبين البوليس البريطاني حيث سارعت قوات الجيش الى ضرب نطاق حول المدينة وعزلها .

بيد ان القسام مدفوعا بايمانه وعروبته واخلاصه رفض الاستسلام ، وحث اتباعه على القتال ، وفي صباح ١٩-١١-١٩٣٥ خاض المجاهدون معركة مواجهة مع القوات البريطانية في غابة يعبد بجنين ، وكانت نسبة القوات ١ — ٤٠ لصالح التفوق البريطاني فاستشهد القسام ، واثنان من اتباعه « احدهما مصري والاخر فلسطيني » ، واسر خمسة آخرون جرحى ، واختفى الباقون في الجبال .

ومن يومها سميت المنطقة مابين جنين ونابلس وطولكرم بـ « مثلث الرعب » لما سببته من فزع ورعب للبريطانيين والصهاينة.

وكان لحادث المواجهة واستشهاد القسام اثر بالغ في نفوس العرب ، وسرعان ما اصبحت معركته رمزا للنضال وقومية المعركة، كما اصبح القسام عنوانا ورمزا للتلاحم النضالي السوري - الفلسطيني المعمد بالدم والتضحية .

كما كان لاستشهاده الحافز النفسي القوي للاحداث التي تلته بعد اشهر قليلة ، حيث اعلن الاضراب الفلسطيني العام الذي امتد ستة اشهر وانفجرت في اثنائه الثورة الفلسطينية الكبرى .

* الثورة الفلسطينية الكبرى « ١٩٣٦ — ١٩٣٩ » واعلان الاضراب العام « اضراب الاشهر الستة » :

كان التوتر يزداد حدة بين العرب واليهود منذ استشهاد القسام ، فضلا عن استمرار الهجرة اليهودية وبيع الاراضي على نطاق واسع ، والسبب المباشر لهذا الاضراب الطويل هو سلسلة حوادث دموية وقعت بين العرب واليهود في نيسان — ١٩٣٦ شملت يافا ونابلس وغزة ، فاعلنت يافا الاضراب حيث سرى الخبر الى كل انحاء فلسطين ، فحذت كل المدن حذو يافا واضربت البلاد من شمالها لجنوبها ومن شرقها لغربها حيث اصاب الشلل التام سائر المرافق العامة ، كما تم تشكيل اللجنة العربية العليا لقيادة الاضراب وتنظيمه.

وقد رافق التعبير عن السخط في الارياف قيام ما عرف بـ « ثورة الريف الفلسطيني » وبدات التعزيزات العسكرية البريطانية بالتدفق على فلسطين من مصر ومالطه لقمع هذه الثورة ، واعتقل مئات المناضلين ، وبدا الكفاح المسلح يتصاعد بشكل كبير ، واستخدمت بريطانيا الطائرات والدبابات ضد الاهالي ، وبدات تظهر علانية الدوريات البريطانية — اليهودية المشتركة . وقد ادى التعسف البريطاني لزيادة الثورة التهابا ، فدمرت معظم المرافق العامة من جسور وسكك حديدية وشبكات كهربائية . وشهد شهرا ايلول وتشرين الاول من عام ١٩٣٦ اشد المعارك بين القوات البريطانية والثوار العرب ، فسقط فيهما ١٠٠٠ شهيد فلسطيني مقابل ٨٠ قتيلا يهوديا و ٣٨ قتيلا انكليزيا عدا عن آلاف الجرحى .

وفي محاولة من بريطانيا والصهاينة لاقتلاع العرب من منازلهم وممتلكاتهم قاموا بهدم يافا القديمة بحجة اعتبارها — ولدواع امنية — قلعة لا تجرؤ القوات الحكومية على دخولها ، وانتقاما من يافا كونها شرارة هذه الثورة . الا ان ذلك زاد من تصميم الشعب على مواصلة الاضراب ، وامتداد المقاومة المسلحة لمختلف انحاء البلاد .

والجدير بالذكر أن المجاهدين العرب السوريين ساهموا بشك
واضح في هذه الثورة وعلى رأسهم الشهيد سعيد العاص والمجا
محمد الاشمر والقائد فوزي القاوقجي ٠

كما يجدر ذكره أن عرب لواء اسكندرونة قاموا بارسال نص
مقاتل مسلح قاتل على أرض فلسطين في وقت كانوا فيه بأمس الحا
لكل مقاتل ولكل بندقية للتصدي لمشاريع التتريك التي بلغت ذروتها
الاعوام ١٩٣٦ _ ٣٧ _ ٣٩ ٠

وازاء اشتداد الحملة العسكرية البريطانية وحشد ثلاث فرق عسكر
وبسبب ضعف التنظيم القيادي لهذه الثورة ، وتدخلات ووساط
الملوك والقادة العرب في حينه، الذي تمثل بنداء وجهوه لعرب فلسط
لوقف الثورة مترافقا بوعود بريطانية لحل الازمة ، فقد تم
الاضراب بعد أن استمر ستة أشهر كاملة لم يعرف له على الار
الفلسطينية مثيلا بشموله وامتداده وفعاليته ٠

* المرحلة الثانية من الثورة الكبرى :

مع بداية عام ١٩٣٧ بدأ يظهر نكوص بريطانيا عن وعودها لح
الازمة ، فبدأ التحرك الشعبي من جديد فقام رهط من المناضلين العر
باغتيال « الكابتن اندروز » حاكم لواء الجليل وحرسه في مدين
الناصرة ، وتجددت الاشتباكات بين العرب واليهود كرد فعل لمحاولا
التقسيم الذي بدأت تطرح مشاريعه بهمس ، وتشكلت « اللجنة المركز
للجهاد » التي اتخذت من دمشق مقرا لها ، حيث كان القائد الشه
عبد الرحيم الحاج محمد من أبرز زعمائها ٠

وقد اعتصم الثوار بالجبال واشتد قصف الطيران لهم ، ول
تلبث حركات الكفاح أن أخذت تشتد يوما بعد يوم ، وأصبحت فلسطي
في حالة ثورة حقيقية امتدت لاواخر عام ١٩٣٩ أي الى ما بعد نشو
الحرب العالمية الثانية بقليل ٠

وأصبح الثوار أسياد الموقف وانهارت الحكومة المدنية في معظم المدن ، واشتد بالمقابل القمع الوحشي البريطاني، حيث لم تجد بريطانيا وسيلة لقمع الثورة خيرا من دهائها المعروف فكان «كتاب ماكدونالد» والمعروف بالتاريخ الفلسطيني « الكتاب الابيض » ٠

* الكتاب الأبيض :

نتيجة الصمود والكفاح الكبيرين اللذين قام بهما الشعب العربي الفلسطيني في الفترة من عام ١٩٣٦ _ ١٩٣٩ وأمام قيام الحرب العالمية الثانية ، أصدرت الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩ بيانا أعلنت فيه بشكل حاسم انه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية وكان من أهم بنود هذا البيان :

- اقامة دولة فلسطينية مستقلة خلال عشرة أعوام ٠
- الحد من الهجرة اليهودية ثم توقيفها نهائيا ٠
- الحد من استملاك اليهود للاراضي العربية وتقييده ثم حظره ٠

واستقبل الصهاينة هذا البيان بالاستياء والاستنكار ، وسمي في أوساط العرب « بـ الكتاب الابيض » ، لانه سلم نظريا بجزء كبير من مطالب العرب ٠

* التقسيم والنكبة :

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء على المانيا الهتلرية سنة ١٩٤٥ عدلت بريطانيا عن وعودها التي وردت في الكتاب الابيض ، وعرضت قضية فلسطين امام هيئة الامم المتحدة للمرة الاولى في نيسان عام ١٩٤٧ حيث أوصت بارسال لجنة تحقيق الى فلسطين ، وقدمت هذه اللجنة بعد زيارتها تقريرا أوليا للجمعية العامة للامم المتحدة توصي فيها بتقسيم فلسطين أعطت بموجبه لليهود ٥٦٪ من

مساحة البلاد و ٤٤٪ لاصحابها الشرعيين من الفلسطينيين
وقد تم رفض هذا المشروع عربيا واعتبر خرقا لميثـ
الامم المتحدة الذي يمنح كل شعب الحق في تقرير مصـ
بنفسه . وانتهاكا صارخا لشرعية حقوق الانسان وكان لابد لـ
مشروع التقسيم في الامم المتحدة من أن يحصل على أصوات ثلثـ
اعضاء الجمعية العامة ، ولما كان من المستبعد أن يحصل على تلـ
الاصوات لو تركت الحرية للاعضاء للتصويت عليه،فقد قامت الولايـ
المتحدة الامريكية ـ زعيمة الامبريالية الجديدة في العالم ووريـ
الاستعمار القديم دورا ونفوذا ـ ومعها القوى الصهيونية باستخـ
وسائل الضغط والترغيب والترهيب في سبيل الحصول على الاصوا
اللازمة ·

وفي التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٤٧
اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارا رسميا بتقسيم فلسطـ
متجاهلة حقوق أهلها ، وكونهم عندئذ اكثرية في البلاد ويملكون نـ
٩٥٪ من أرضها ·

ولم يكن أمام العرب بعد هذا الظلم الفادح والانكار الواضـ
لحقوقهم الا مقاومته · فقامت حرب شاملة سنة ١٩٤٨ بين عر
فلسطين وبين البريطانيين والصهاينة الذين قاموا بابشع أنواع المجاز
والتنكيل والوحشية ·

فكانت مجزرة دير ياسين ـ قمة هذه المجازر ـ التي وقعت في
١٠/٤/١٩٤٨ وذهب ضحيتها ٢٥٤ امرأة وطفلا وشيخا من سكا
هذه البلدة التي تقع على مقربة من القدس ·

وتم تشكيل « جيش الانقاذ » الذي قاد جبهته الشمالية فوزي
القاوقجي وجبهته الوسطى حسن سلامة وجبهته الجنوبية عـ
القادر الحسيني الذي استشهد في معركة القسطل التي تعتبر بوا
القدس ، وجاء استشهاده في لحظة انتصاره في هذه المعركة الكبر
والتي جرت في ٨/٤/١٩٤٨ ·

وبعدها بدأ تساقط المدن والبلدان الفلسطينية بيد الصهاينة فسقطت حيفا ثم يافا ثم طبريا وصفد ·

وفي ١٤ أيار ١٩٤٨ وقبل بضع ساعات من بدء الانسحاب البريطاني من فلسطين والذي كان متفقا عليه مع الصهاينة أعلن دافيد بن جوريون قيام دولة العدو الصهيوني·

وفي ١٥ أيار أعلنت الجيوش العربية الحرب في الوقت نفسه الذي بدأت القوات البريطانية فيه بالانسحاب تاركة عرب فلسطين عزلا أمام القوات الصهيونية ليتشردوا في أصقاع الارض بعد أن سلبتهم أراضيهم وممتلكاتهم وفقدوا كل شيء الا أمل العودة للارض التي قدموا قربانا لها خمسين ألف شهيد خلال سنوات نضالهم وكفاحهم ·

هذا الامل بالعودة للارض سيبقى نبراسا ومنارا للاجيال القادمة حتى تحقيق النصر والتحرير والعودة لفلسطين ، كل فلسطين ·

❋ حزب البعث العربي الاشتراكي والموقف من القضية الفلسطينية :

لقد جاءت اهتمامات حركة « البعث العربي » عند نشوئها بمجريات القضية الفلسطينية ـ في بداية ومنتصف الاربعينات ـ تعبيرا عن التواصل الوطني والقومي المستمر الذي يربط ما بين فلسطين وسورية « مهد البعث » ، والذي رأينا جذوره ضاربة بعمق في سائر مراحل نضال الشعب الفلسطيني ، ومتجسدا في النضال والتضحيات والدماء والجهود المشتركة .

كما جاءت هذه الاهتمامات تعبيرا عن المبادىء الاساسية البعثية والمتعلقة بوحدة الامة العربية وحريتها ·

وفي عودة لبدايات التاسيس نجد ان حركة « البعث العربي قد اعتبرت قضية فلسطين اهم القضايا العربية الاساسية ، فاد[...] وعد بلفور ورفضت الهجرة اليهودية لفلسطين ، ونددت بمو[...] بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية منها وخاصة منها تلك الو[...] الصادرة عـــن الحـــزبين الرئيسيين الديمقــراطي والجمهو[...] الامريكيين .

كما طالبت الحركة بحق فلسطين في الحريـــة والاستقلا[...] واعتبرت الصهيونية حركة عدوانية لا تكون عـــلاجا صحيحا لمشـ[...] اليهود في العالم على حـــاب الحقوق العربية التاريخية .

ولقد جاءت هذه الادانة على شكل كتاب موجه من البعث فـ[...] دمشق في العاشر من اب عام ١٩٤٤ الى المعتمد السياسي الاميركـ[...] في سوريا . كما اتبعت الحركة كتابها هذا بكتاب ثان وجهه **البعث** [...] **٢٣ / آذار / ١٩٤٥** الى الوزير الامريكي المفوض في سورية و[...] ادانة لموقف الرئيس الامريكي روزفلت لتدخله **في قضية فلسـ[...]** وممارسته الضغط على بريطانيا لفتح ابواب فلسطين على مصراعـ[...] لليهود ، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا ـ ولو ظاهريا ـ تدعـ[...] الالتزام بكتاب « ما كدونالد » والمعروف بالكتاب الابيض الذي صـ[...] سنة ١٩٣٩ وفيه بند يقضي بالحد من الهجرة اليهوديـــة لفلسطـ[...] ثم توقيفها نهائيا .

— وفي ايار عام ١٩٤٦ دعت حركة « البعث العربي » ا[...] الاضراب الشامل بسبب السماح لـ ـ ١٠٠ الف مهاجر يهودي بدخـ[...] فلـــطين ، **واعلنت الحركة انه يجب ان تكون نصرة فلسطين او[...] امتحان لاستقلال سورية الذي لم يكن قد مضى عليه اكثر ر[...] شهر واحد .**

كما كانت حركة البعث اول من دعا لاعتبار قضيـــة فلســطـ[...] قضية قومية واعتماد صيغة الكفاح المسلح لحل هذه القضية ، وجاء ذلـ[...] في مقال نشرته صحيفة البعث بعددها رقم ٢٤ تاريخ ١٦ آب ١٩٤٦ .

✱ حزب البعث والموقف من التقسيم والنكبة :

لقد جاء تاسيس حزب البعث في السابع من نيسان ١٩٤٧ مترافقا مع ازدياد حدة المخاطر التي باتت تهدد فلســـطين ارضـــا وشعبا .

وكان لا بد للحزب ـــ ومن وحي مبادئه القومية ـــ ان يواجه وهو لا يزال حديث العهد في التاسيس مشكلة كبيرة ومستعصية ، اذ كان مشروع تقسيم فلسطين يجـري تداولـــه في ردهـــات الامـــم المتحدة لاقراره وتنفيذه .

وجاء اجتماع مجلس الحزب بعد اربعة اشهر من تاسيســـه ليؤكد في بيان رسمي موقفه من قضية فلـــطين التي يتهددها الخطر اذا نفذ مشروع التقسيم ، واكد هذا البيان ضرورة تعبئة الشـــعب وتسليحه وانتظامه في حركة الجهاد لانقاذ فلـــين ، **حيث يعتبر هذا البيان اول دعوة عربية لاعتماد حرب التحرير الشعبية لتحرير فلســطين .**

وعندما صدر قرار الامم المتحدة القاضي بتقسيم فلسطين في ٢٩ / تشرين الثاني / ١٩٤٧ جاءت ردة فعل حزبنا سريعة ومتناسبة مع خطورة الموقف ، فاصدر وبعد ثلاثة ايام من قرار التقسيم بيانا اعلن فيه : **ان ساعة الخطر قد دقت ، وطلب البيان من الجماهير العربية القادرة على حمل السلاح التطوع في كتائب تحرير فلسطين .**

كما ان الحزب اعتبر مقره الرئيسي مكتبـــا لتطوع الشبـــاب والطلاب والفلاحين في كتائب انقاذ عروبة فلسطين .

وقرر الحزب ايضا انشاء مكتب فلسطين الدائم للتفرغ لمتابعة ما يتفرع عن قضية فلسطين .

وعلى هذه الارضية الوطنية والقومية قرن الحزب اقـــواله باعماله حين اتخذ قرارا في ١٩٤٨/١/٢٣ ينص على تجنيد جميـع

اعضائه في المجهود الحربي ، وقرر ارسال كتيبة بعثية الى الجبه
بقيادة اللجنة التنفيذية للحزب. وتم ارسال هذه الكتيبة حيث خا
البعثيون معارك الشرف والبطولة دفاعا عن عروبة فلسطين ، ول
كانت مؤامرة تهويدها قد تمت بتحالف صهيوني - امبريالي
رجعي ، اكبر من كل القدرات التي سخرت لمواجهتها ، فكا
النكبة وقيام دولة العدو الصهيوني في ١٤ ايار ١٩٤٨ .

* الحزب وسنوات النضال اللاحقة :

لقد جاءت نكبة فلسطين في وقت كان فيه حزب البعث يوا
مسألة استكمال بناء هيكله واطره التنظيمية ، ومواجهة المش
السياسية والاقتصادية والاجتماعية لما بعد الجلاء ، ومنها مواج
الديكتاتوريات العسكرية التي القت بثقلها على سورية . وم
ذلك كان لفلسطين موقع الصدارة من اهتمامات الحزب وعمو
ولقد حدد الحزب في اجتماعات مجلسه في الفترة من ٢٩/١١/١٩٥٠
- ١٩٥٠/١٢/٢٩ مسؤولية ضياع فلسطين من خلال الربط
الاستعمار والصهيونية وحكم الاقطاع وقوى الرجعية ، وطال
الحزب بعدم طي قضية فلسطين وابعاد الشعب عنها ، كما طا
بعدم الاعتراف بدولة العدو الصهيوني وتشديد الحصار الاقتصا
عليها وبحشد الموارد من اجل التسلح وتطبيق التجنيد الالزامي ال
وكذلك باعداد الفلسطينيين لكي يكونوا طليعة المقاومة والتحرير

**وفي سنة ١٩٥٥ كان لحزب البعث العربي الاشتراكي مو
معاديا لمشروع جون فوستردالاس وزير الخارجية الامريكية ل
قضية فلسطين عبر توطين الفلسطينيين واسكانهم في الدول العر
التي لجؤوا اليها .**

وجاءت زيارة دالاس لدمشق مناسبة رائعة لاظهار موق
الحزب المعادي له ولمشاريعه حيث دوت متفجراته في كل انحاء سور

وخاصة في دمشق وحلب وباقي المدن الكبرى لاظهار الاحتجاج على مشروعه والرفض المطلق لسياسته وزيارته .

وفي سياق نضاله في منتصف الخمسينات اكد الحزب ان السبب الرئيسي الذي ادى الى هذه المأساة القومية لا يعود فقط الى تآمر وتحالف القوى الصهيونية والاستعمارية والرجعية العربية بل يعود ايضا الى ان الحكومات العربية لا تمثل شعوبها بل انها تقف على النقيض من مصالح هذه الشعوب وامانيها وتطلعاتها نحو الحرية والتقدم ، ورأى ان الوسيلة الوحيدة لكي يأخذ الشعب العربي دوره وبالتالي يتمكن من انجاز اهدافه ، هو في اقامة حكم شعبي وتحقيق الوحدة العربية على قاعدة بناء مجتمع عربي موحد تقدمي على سائر الصعد الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

وعلى هذا ناضل حزبنا لاقامة **اول تجربة وحدوية بين سورية ومصر ولم يحل ما عاناه الحزب في اثناء عهد الوحدة وعهد الانفصال من ان تبقى قضية فلسطين في صلب اهتماماته وفي مقدمتها .**

وفي الثامن من آذار ١٩٦٣ حينما قامت ثورة الحزب في القطر العربي السوري كانت اجواء المنطقة متأثرة باعتزام دولة العدو الصهيوني تحويل مجرى نهر الاردن الذي يمر باراضي كل من سورية والاردن وتقع بعض منابعه في لبنان ، وكان هذا هو السبب الرئيسي للدعوة لانعقاد اول قمة عربية في القاهرة سنة ١٩٦٤ في وقت كانت فيه الخلافات بين الدول العربية تشهد فترة من فترات تأججها . وقد تمكن حزب البعث الذي كان مشاركا في هذا المؤتمر من تفويت فرص محاولات بعض الزعماء العرب لتصفية القضية الفلسطينية. وتمكن ايضا من وضع هذه القضية في مسارها الصحيح عبر ورقة العمل السورية المقدمة للمؤتمر والمتضمنة نقاطا مهمة من اجل وضع

وتنفيذ خطة استراتيجية عربيــة ذات صبغــة هجوميــة لتح
فلسطين، ومهد هذا الجو لتحرك فلسطيني ادى لقيام منظمة التحر
الفلسطينية في ٢٨ ايار سنة ١٩٦٤ .

وجاء انطلاق الثورة الفلسطينية المسلحة في اليوم الاول
عام ١٩٦٥ ليترجم عمليا دور حزب البعث في دعمها ورفدها بـ
اسباب الاستمرار والنجاح سواء بامدادها بالسلاح والذخيرة والـ
والكوادر البشرية والتدريب واقامة القواعد الفدائية في جميع ا
القطر العربي السوري او في حرية الحركة وافساح المجال الـ
لها لتعبئة الجماهير الفلسطينية والعربية .

وجاء عدوان الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ بنتائجه وا
المدمرة على الامة العربية ليضع العرب امام خيارين لا ثالث لـ
اما الاستسلام ! والصمود ، فكان ان بادر حزبنا العظيم الى ا
خيار الصمود من خلال مقررات وتوصيات المؤتمر التاسع الا
المنعقد في اوائل ايلول سنة ١٩٦٧ اذ جاء في هذه المقررات :

١ — اعتماد الكفاح المسلح كاساس في ازالة آثار العدوا
٢ — استمرار النضال السياسي بشكل يخدم الكفاح المسـ

وعاد الحزب لتاكيد قراراته تلك في المؤتمر القومي الـ
المنعقد في ايلول ١٩٦٨ بالصيغة التالية :

— اعتماد الكفاح المسلح كاسلوب وحيد لتحرير الارض الـ
واستمرار النضال السياسي بما يخدم الكفاح المسلح .
— اعتماد الكفاح المسلح كاسلوب وحيد لتحرير الارض الـ
واقر المؤتمر ما يلي على صعيد العمل الفدائي :
— تقويم العمل الفدائي الفلسطيني لتطويره وتعزيزه .
— دعم وتطوير منظمة الطلائع .
— انشاء مكتب للعمل الفدائي في القيادة القومية .
— تاكيد دور الكفاح الثوري .

* القضية الفلسطينية في ظل الحركة التصحيحية :

اعطت الحركة التصحيحية منذ بدء قيامها الاهتمام الكبير والاولوية المطلقة للقضية الفلسطينية . ولقد جاء في بيان القيادة القطرية المؤقتة التي تسلمت مسؤولياتها التاريخية في قيادة مرحلة التصحيح بندا ينص على تنفيذ ما يلي في المجال العربي :

— دعم الثورة الفلسطينية وبذل اقصى الجهود المخلصة للعمل على تحقيق وحدة فصائل المقاومة ، كما جدد البيان في مجال العلاقة بين القطر والقضية الفلسطينية انتهاج القيادة وحكومة الثورة الاسس التي قررها الحزب في مجال دعم العمل الفدائي .

وجاءت حرب تشرين كنتاج مهم من نتائج الحركة التصحيحية التي دخلها الحزب على انها حرب تحرير ويحضرنا هنا قول الرفيق الامين العام للحزب في كلمته امام الدورة الرابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني المنعقدة بدمشق من ١٥ — ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٩ حين قال :

« وانا كنت اذكر الآن وللمرة الاولى بعد حرب تشرين اننا خضنا حرب تشرين على انها حرب تحرير فقد اكدنا ذلك في خطط العمليات العسكرية التي خضنا الحرب على اساسها ، كما اكدته في خطابي الذي وجهته الى الشعب والقوات المسلحة عاشر ايام الحرب خلال سير العمليات القتالية حيث قلت اني احدثكم اليوم وقد اتخذت المعركة شكلها الحقيقي ، شكل حرب تحرير كاملة » .

وكان للحزب موقف حاسم في مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط ، فلقد كان للكلمة التي القاها الرفيق المناضل حافظ الاسد اثرها في دفع عمل المؤتمر الى الامام في الاتجاه الصحيح،حين واجه المؤتمر خلافات حادة ، وخاصة فيما يتعلق بوحدانية تمثيل منظمة

التحرير للشعب العربي الفلسطيني ، وكان نتيجة موقف الرفيـ
الامين العام للحزب أن اصدر المؤتمر عدة قرارات اهمها :

ـ حق الشعب الفلسطيني في العودة الى ارضه وتقر
مصيره وحقه في اقامة سلطته الوطنية المستقلة بقيادة منظمـ
التحرير .

ـ تاكيد صفة المنظمة كممثل شرعي وحيد لشعب فلسطين .

ـ ولقد جاءت المبادرة القومية والنبيلة والشجاعة التي اعلـ
الرفيق الامين العام للحزب في الذكرى الثانية عشرة لثورة ٨ ا
المجيدة ، تعبيرا حيا وساطعا ومتقدما ، حيث اعلن عن « استعدا
سورية لتطوير التزامها بقضية الشعب الفلسطيني ونضاله الوطـ
الى حد القبول باقامة قيادة سياسية واحدة سورية ـ فلسطيـ
وقيـادة عسكرية ايضا ، اذا كان ذلك يخـدم اهداف النضـ
الفلسطيني ، ويعزز القدرات النضالية للثورة الفلسطينية » .

بعد هذا بدا تحرك اليمين الفلسطيني يأخذ ابعاده على شكـ
تحركات سياسية مشبوهة وخاصة ، أثناء الاحداث الدامية في لبنا
ابتداء من عام ١٩٧٥ و ١٩٧٦ حيث كان للحزب مواقفه القومية فـ
الساحة اللبنانية دفاعا عن عروبة لبنان ووحدته وحماية الجماهـ
والثورة الفلسطينية في لبنان .

وجاءت احداث عام ١٩٨٢ والاجتياح الصهيوني للبنان لتكشـ
عن المواقف الحقيقية للنهج اليميني المنحرف على الصعيدين السياسـ
والعسكري ، في حين كان موقف الحزب ابان الاجتيـاح وحصـ
بيروت قمة في العطاء القومي وخاصـة فيما يتعلق بعودة المقاتلـ
الفلسطينيين من بيروت لدمشق حين اعتبر هـذه العـودة لا تعنـ
نهاية المطاف كما حاول العدو وبعض الانظمة العربية ان يصور
ذلك ، بل بداية لمرحلة نضال جديدة **وكمـا قـال الرفيق الامين العا**
للحزب :

« المقاتلون الفلسطينيون موجودون في سوريـة منـذ زمن طويل ، واذا كان السؤال يتعلق بالمقاتلين الجدد الذين قدموا الى سورية من بيروت وما هي حقوقهم ، فحقوقهم هي حقوق المقاتلين الفلسطينيين السابقين انفسهـم الموجودين في سـوريـة ، وبطبيعـة الحال سلاحهم ملكهم ، وسيظل بايديهم وان احتاجوا الى سلاح فسوف نقدمه لهم ، وسيقيمون في اكثر من مكان ملائم في سـوريـة وستكون لهم حرية العمل الكامل من اجل قضيتهم » .

وهكذا كان اليمين الفلسطيني الذي انساق وراء سراب واوهام الحل الامريكي في ورطة حقيقية تجسدت في الفشل الذريع الذي لاقته مخططاته على رغم سلسلة التنازلات الاستسلاميـة التي قدمهـا كمربون عن حسن نيته امام اصحاب الحلول السرابية .

ولعل ابلغ رد على مخططاته ، ذلك الرد الذي واجه به شعبنا العربي الفلسطيني لسلطات الاحتلال بمقاومة شعبية مسلحـة بالرصاص وبالحجارة .

وكان الرد الآخر هو اعتماد الحزب لسياسة تحقيق التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني حين اعتبر **« ان مسالة التوازن الاستراتيجي هي خيارنا الوحيد سواء اردنا الحرب او السلام » .**

ومن هنا نرى وفي ظل الواقع العربي الراهن وكذلك استئثار اليمين الفلسطيني بنهجه المنحرف ان لا خيار الا خيار الصمود ، ولا حياد امام اللعب بمقدرات امتنا وقضاياها الرئيسية ، وفي طليعتها قضية فلسطين التي اعتبرها الحزب « القضية العربية المركزية » ، وعلى قاعدة التلاحم النضالي القومي الذي يشكل حزب البعث العربي الاشتراكي والثورة الفلسطينية الملتزمة بخط النضال ومعهما سائر القوى الثورية العربية طليعته ولحمته وسداه .

ونستحضر هنا قول الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العا
للحزب في خطابه القومي المهم الذي القاه في جلسة افتتاح المؤتمر
القطري الثامن في الخامس من كانون الثاني ١٩٨٥ : —

« سنظل مع شعب فلسطين ، سنظل مع قضية
فلسطين ، ستظل سورية سندا قويا لكل من يريد ا
يكافح من اجل فلسطين ، سنقدم الى المناضلين
الفلسطينيين ، وسنقاتل الى جانب ومع المناضلين
الفلسطينيين كي تعود الى شعب فلسطين حقوقه كاملة ».

* * *

دراسات فكرية

بعض المقدمات الضرورية لدور الأحزاب الثورية في عملية:

الانتقال الصاعد إلى نمط تشكيلة اجتماعية ـ تاريخية جديدة

الرفيق خيري حمّا

« وبالاجمال فانه حزب الانقلاب على نفسه اولا ثم على الاوضاع الفاسدة حوله ثانيا . انه حزب الطليعة الواعية المستوعبة للاوضاع ولسير التاريخ والمؤمنة بالتقدم وحتميته . وبذلك المنهج ايضا استطاع ان يكشف ان الاسلوب الذي يحدث ذلك البعث الجديد ويؤدي الى ذلك الانقلاب لا يمكن ان يكون الا الثورة (...) ان هذا الاسلوب وحده هو الذي يوصل الى رشد الجماهير ونوعيتها . ان الخطب الرنانة والمواعظ الحسنة لن ترفع من وعي الجماهير وترجع لها الثقة بنفسها ، وانما الصراع والاحداث والانتكاسات والانتصارات هي التي ترفع مستوى الجماهير وتضعها في المستوى الذي يمكنها من مسك عجلة التاريخ ودفعها الى الامام .. ».

من بعض المنطلقات النظرية للحزب التي اقرها المؤتمر القومي السادس ، ت١ ١٩٦٣ ، ص ١٧ و ص ١٨ ط١ .

حقيقة جلية لا بد لي من توكيدها مجددا وهي التي تفيد بأن عملية القضاء على التشكيلة الاجتماعية ـ الاقتصادية المتمثلة بعلاقات وقوى الانتاج البرجوازية في عصرنا الراهن لا يمكن ان تتم في جميع

حول العالم دفعة واحدة وعلى نحو ميكانيكي بل انه يتم هنا وهنا
ولكن على نحو متفاوت ومتباين ايضا وذلك تبعا للتطور
الاقتصادي والسياسي القائم في تلك الدول والمواقع التي تتوازع
القوى الطبقية المتناحرة واصرار تلك التي منها تمارس الق
والاستغلال على التشبث بمواقعها حتى سقوط آخر معاقلها وا
اخراجها من مجال التاريخ . ان هذه العملية التطورية في خضوع
لقوانين تطور المجتمعات الانسانية ومع توافر شروطها الذات
والموضوعية وتوليفها معا في تفاعل جدلي خلاق يصبح بالامكان التق
ان مسالة القضاء على هذه التشكيلة الاجتماعية الرجعية او تل
هي مسالة وقت ليس الا . وهذا مابرهن عليه نجاح بعض المجتمع
الاوربية من القضاء على نظام اجتماعي امبريالي والانتقال الى
مجتمع اشتراكي عادل يعبر عن العلاقات الانتاجية الجديدة وقو
الانتاج الصاعدة وهذا ما تشهد عليه ايضا عدد من بلدان حرك
التحرر الوطني في القارات الثلاث ، اسيا وافريقيا وامريكا اللاتي
ويجدر الانتباه هنا الى ان قضية التفاوت والتباين تلك لا تؤثر ا
على مجرى المسيرة الثورية التطورية لان الاتجاه العام للتطو
الاجتماعي التاريخي العالمي هو في دينامية نشطة ضمن خط تصاعد
في صالح قوى الثورة والاشتراكية في العالم .

تلك القضية او لنقل العملية الثورية الضرورية بكل ابعاد
التاريخية الانسانية التقدمية الصاعدة كانت وما تزال التحد
الكبير الذي يواجه العديد من الاحزاب الثورية التي تتصدى له
المهمة المعقدة في بلدان اسيا وافريقية وامريكا اللاتينية سواء منه
تلك التي تسلمت السلطة كما هو الحال في القطر العربي السور
ونيكاراغوا وانغولا او تلك التي ما تزال تكافح وتقاتل لاجل انجا
هذا الفعل الثوري التاريخي في الدول التي تنتمي اليها كما هو
الوضع اليوم في جنوب وجنوب غرب افريقيا والسلفادور وغيرها

وهنا لا بد لي من طرح بعض الاسئلة الموضوعية وفق منهج ال
الدراسة العلمي التحليلي المعمق حول ماهية المقدمات الضرور
التي مكنت بعض رواد المسيرة الثورية في عدد من بلدان العالم من
انجاز ذلك الانتقال الثوري من نظام اجتماعي بائد ومفلس الى نظ
اجتماعي جديد عادل وتقدمي وذلك بهدف القاء الضوء على هذ

المقدمات بوصفها معايير يمكن للحركة الثورية العالمية الاستفادة من دروسها وخبراتها من اجل ان تضمن في النتيجة تحقيق انجازها التاريخي الذي تصبوا اليه . ولذلك ساخصص مساحة هذه الدراسة لعدد من المسائل المهمة والحيوية التي تشكل بعض الاسس الضرورية لاي انطلاقة ثورية وشرطا ضروريا وان لم يكن كافيا لاستمراريتها وبلوغ الانتصار الثوري المنشود .

● **اولا : في الوعي الثوري** : لا يخفى على احد ما للوعي الثوري الجماهيري من اهمية فائقة تنعكس اثاره على المسيرة الثورية والاحزاب الثورية في العالم وبات معروفا ايضا ان هذا الوعي ليس الا احد الاشكال المستقلة للوعي الاجتماعي وان كان يرتبط به ارتباطا وثيقا ولكن لهذا الوعي الثوري ايضا عوامله التي تتركب منها بنيته الداخلية وفي جميع مستوياتها وانطلاقا من هذه المسلمة نرى ان هذا الوعي الثوري يتفرع منه عامله ومستواه الاولين وهو الوعي الفردي في المجالات الشعورية والمحيطية التي تشكل ادراك الكائن بنفسه ولنفسه وبما يحيط به فالانسان كما يقول ماركس : «يتصرف في جميع الحالات تصرف الكائن الواعي .. » (١) والوعي على هذا النحو يتفاعل مع ما يحيط به ويعايشه يوميا ويساهم في كل الوان النشاط الاجتماعي وعلى الوجه الاخص منه النشاط المتعلق بالعملية الانتاجية . وهذا يعني ان الانسان ايضا ليس فردا منعزلا عن غيره بل هو كائن اجتماعي موجود في ميدان اجتماعي ما من ميادين المجتمع وهذا يعني وجود روابط وعلاقات كثيرة ومتعددة الانماط يرتبط بها هذا الفرد مع الجماعة التي يعيش ضمن مجالها .

ان هذا المحتوى الاجتماعي لوعي الفرد يؤكد مدى الارتباط الوثيق بين الوعي الفردي والوعي الاجتماعي بوصفه نتاج تاريخي للتطور الاجتماعي نفسه وهذا الوجود الاجتماعي للفرد هو وجود لطبقته نفسها التي ينتمي اليها ويعبر عن اهتماماته بمواقفها وارائها وتصوراتها وهو وسطها الروحي ، ظواهرها الفكرية التي تؤثر فيه تاثيرا موضوعيا يتجلى في وعيه الفردي ووعيه الاجتماعي اولا

---

١ ــ ف . ا . فوشتيا ــ ترجمة د. فؤاد مرعي . الوعي الاجتماعي وقوانين تطوره

واخيرا . والخلاصة هنا تفيد ان الوعي الثوري مرتبط على نحو وثيـ
بالوعي الفردي والمرتبطان بدورها بالمحتوى الاجتماعي والروحـ
والفكري للفرد والجماعة والطبقة التي يستندان اليها ولذلك لـ
يكن هذا الوعي باشكاله هذه وغيرها الا انعكاسا حقيقيا للوجو
الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية بكل مظاهرها المتنوعة والغنيـ
جدا التي تعبر عن وجود موضوعي ايضا للمصالح الاقتصاديـ
للمجتمع الطبقي .

وهنا يكمن جوهر الوعي الثوري ومعناه بوصفه احد اشكا
الوعي الاجتماعي . هذا الجوهر المتمثل بوجود منظومات قيمية و
الاراء والافكار الاجتماعية حول العلاقات الاجتماعية السائدة او
التي يجب ان تسود في اطار فهم كلي شمولي كمستوى ارقى مـ
اشكال الوعي الاجتماعي الذي يعكس الشروط المادية القائمة
البنى التحتية في هذا المجتمع ويعبر فيها الناس عن اسلوب عيشـ
وطريقة تفكيرهم .

ان الطليعة الثورية التي تتوافر لها شروط ومكونات هذا الوعـ
الاجتماعي وبشكله الارقى ذاك تستطيع حينئذ ان تؤدي دورهـ
التبشيري النضالي المؤثر في انبات الوعي الثوري في اذهان الجماهـ
التي تعاني من الاضطهاد والقهر الطبقيين وتعبئها تعبئة علمية ثور
ناجحة ضد مستغليها وجلاديها من ابناء الطبقة البرجوازية وقلاعـ
حيث تتحدد مساحة هذا الوعي وتكبر مع ازدياد وتاثر بذر الوعـ
الثوري وحشده وتركيز مفاعيله في الوسط الجماهيري المضطهـ
ان النجاح في هذه المهمة لن يكون سهلا الا اذا واجهت الطليـ
الثورية التي حازت ذلك الشرط التاريخي مسالة توعية الجماهـ
ثوريا عبر التعبير عن مصالحها وتقديم التحليلات العلمية والحلـ
الثورية لمعاناتها من الاوضاع والعلاقات الطبقية الفاسدة
حولها وتزويدها بالتوجيه والمتابعة الدائمة لكل ما يتصـ
بشؤونها مما يرفع باستمرار من سوية وعيها الثوري والاجتما
وبالتالي تحذر الطليعة الثورية في هذا المجال من الوقوع في مطـ
التحاليل الخاطئة والتفاسير الغامضة او استخدام مبدا الخطا
او الشعاراتية التي تدرك الجماهير بحسها العفوي انه لن يقد

لها الا المزيد من التخبط والمعاناة وعندها تفقد عملية بث الوعي الثوري اثرها ومصداقيتها فتنكفىء الجماهير على نفسها وتتاخر عمليتها الثورية المطلوبة . لقد عرف حزب البعث هذه الحقيقة التاريخية المهمة في الاربعينات ونجح في استيعابها مما جعله واحدا من الاحزاب الثورية القليلة في المنطقة العربية وفي مناطق عدة من العالم ، الذي تسنى له قيادة النضال الاجتماعي والقومي في ظروف محلية واقليمية ودولية صعبة على اثر تصاعد حدة الحرب العالمية الثانية وافرازاتها المدمرة على الشعوب كلها . وفي ظل مناخ مسموم قوامه علاقات اجتماعية واوضاع اقتصادية وقومية بالغة السوء والتعقيد داخل القطر العربي السوري اولا و في اقطار الوطن العربي الكبير ثانيا . ولذلك استخدم البعث في طليعة عمله الثوري ونشر افكاره الطليعية بين الجماهير ، استخدم اسلوبا عمليا يستند الى الحقائق التي لا تحتاج الجماهير الى الكثير من الجهد لرؤيتها فسلط الاضواء الكاشفة على تلك العلاقات والاوضاع الفاسدة وحلل وفسر وحدد الحلول الثورية للتغيير المنشود معا انشا تفاعلا خلاقا بينه وبين الجماهير في اطار حركة التاريخ الجدلية الصاعدة حيث تحول بحق الى الفئات الثورية المحركة للجماهير نحو تغيير الواقع بوصفه الموضوع الذي بات هدفا لكل اشكال نضاله ونضال جماهيره الكادحة .

ان حل مسالة الوعي الثوري وعملية بنائه عند الجماهير في بداية الانطلاقة الثورية لها لا يمكن لاي من الاحزاب الثورية انجاز مهمتها هذه الا اذا توافر لها شرط الطليعة الثورية المسلحة بالوعي الاجتماعي والموقف التاريخي المطلوب واذا تمكنت ايضا من ايصال وعيها هذا الى جماهيرها عبر صيغ بسيطة ومفهومة قادرة على الوصول الى وجدان الجماهير وعقلها لتحل تلقائيا كافكار طليعية مؤثرة فيها وتجعل منها هدفا لنضالاتها ولقيام المجتمع الجديد وازالة النظام الاجتماعي الرجعي القديم . ولا اود هنا ان ادخل في الاشارة الى امثلة عديدة اخفقت فيها احزاب ثورية عديدة في مهمتها الحيوية هذه لعدم توافر الشروط السابقة المنوه اليها او نقص احداها ففقدت بذلك جماهيرها ودورها التاريخي وشملها النسيان والمهم

هنا تسجيل ملاحظة مهمة ايضا عرفتها الاحزاب الثورية الت
نجحت في تلك المهمة ومنها حزب البعث العربي الاشتراكي مثـ
وتجربته النضالية في سورية وهي التي تؤكد انه كلما تم الاسرا
في انجاز هذه المهمة الثورية واعطيت لها الاولوية تسارع ازديادو
الناس ونشاطهم الاجتماعي والسياسي وصلبت ارادتهم النضالية
ارادة المقاومة والثورة ، وبوتائر عالية الى درجة تصبح معهاالثور
هاجسا جماهيريا يوميا لن يتوقف الا بقيام الثورة وانتصارهاالا
وهذه الحقيقة تجلت بقيام ثورة الثامن من اذار عام ١٩٦٣ بقيا
البعث على الصعيد العربي مثلا .

● **ثانيا : مبدا الطليعة الثورية :**

**كما قلت قبلا فان الطليعة الثورية وعند امتلاكها لشروط الفع
الثوري الذاتيةمنها والموضوعيةوبما يميزهامنوعي اجتماعي بشك
الارقى في اطار نظريتها الفلسفية الايديولوجية الثورية المعرف
اولا وبالارتكاز على نظريتها العقائدية ورؤيتها التاريخية وتحليلا
لظروفهاالخاصة بهاوللظروفالموضوعيةالتي تحيطبهاو الحلول الحاس
التي تضعها لها عبر مسيرتها الثورية ثانيا فانها** وعند تحقق هذه الا
وبعضا مما لم يجيء الذكر عليه هنا ، تتبوا المكان التاريخي البار
وتلعب الدور الحيوي المنتظر منها في قيادة النضال الجماهيري الثور
بكل اشكاله واتجاهاته وابعاده . ولعل من المفيد ذكر بعض المؤشرا
المهمة هنا التي تبرهن ان الطليعة الثورية قد حققت فعلا وقولا
الطليعة الثورية الواعية المؤهلة لقيادة النضال الاجتماعي والوطن
كما يلي :

– **الانتماء الطبقي المتين للطبقة الكادحة** التي تشكل السوا
الاعظم من الجماهير المضطهدة والعمل على تعزيز هذا الانتما
وترسيخ اسسه في بنيتها التنظيمية والفكرية واختيار اعضائه
على هذا الاساس الطبقي واشعار الجماهير بهذه الحقيقة لتتمثله
في وعيها وسلوكها مما ينعكس ايجابيا على توسيع قاعدة هاتي
البنيتين بانضواء شرائح جماهيرية كبيرة تحت لوائهما .

– **امتلاك رؤية علمية تاريخية اجتماعية وفلسفية ثوري**
ومفاهيم نضالية حاسمة وفقا لنظرية معرفية قادرة على رسم الخط

الايديولوجي العقائدي الصلب وتحديد اطره واساليب عمله ضمن حركة التاريخ الصاعدة وتجسيد ذلك في الممارسة النضاليةاليومية نظريا وتطبيقيا .

– **امتلاك القدرة الكفوءة على اتخاذ** القرار الثوري الضروري في الوقت المناسب وتادية الفعل النضالي الذي يترجمه وفقا لمتطلبات ضرورات الكفاح اليومي الذي تخوضه مع الجماهير ضد اعدائها الطبقيين وتوجيه هذا الفعل توجيها يخدم اولا اخرا مجمل سير العملية الثورية وحركيتها نحو اهدافها الرئيسة الكبرى والاستراتيجية واشعار الجماهير بما تحقق من هذه الانجازات الحيوية على ذلك الطريق .

– **تجسيد مبدا القدوة في كل شيء** ، في النضال ، في التضحية، في البذل ، في الممارسة ، في المواجهة، في الوعي الاجتماعي والثوري، في القيادة ، الخ .. الخ .. الخ .. وتاكيد مصداقية هذا المبدا على نحو دائم من خلال القيام بعملية تجاوز نفسها ثوريا بشكل متجدد ومحاسبة كل خارج عن هذا المبدا محاسبة عقائدية صارمة تكفل سلامة هذا الركن المهم في العملية الثورية التاريخية ، الذي يجعل القاعدة الثورية والجماهيرية اشد التصاقا وتفانيا مع طليعتها الثورية الواعية وفي تنفيذها للمهام التي تكلف بها .

– **التعبير المتواصل عن المنظومة القيمية للاخلاق النضالية الثورية على اي صعيد كان** ، وعلى جميع المستويات بدءامن المستوى الشخصي وانتهاء بالمستوى السياسي القيادي . فالطليعة الثورية الواعية تجعل من العمل والتعاون والصالح العام ركيزة الاخلاق الثورية وميكانيزم حركتها التي تعمل على نفي مبدا الفرد وتثبيت مبدا الجماعة واسقاط كل المنظومات الاخلاقية الاخرى التي تتناقض معها او تحمل طابعا ميتافيزيقيا علويا في اطار الخرافة والشعوذة والاساطير والفكر السلفي – الرجعي .

– **النجاح في تنظيم الجماهير وحسن اعدادها** وتدريبها وتسليحها ووضع خطط عملها ومراحل نضالها وانضاج كمونها الثوري لتفجيره كاملا حين يبدا العد العكسي للحظة التاريخية المرتقبة والمتمثلة

بالانتفاضة الثورية الشاملة التي تهز اركان المجتمع القديم وتزيل نظامه الاجتماعي الرجعي وتحقق انتصارها على اعدائها الطبقيين.

ان مبدا الطليعة الثورية الواعية بهذه المؤشرات وما يمكن ا يكون على طريقها يجعل من هذه الطليعة الرمز والامل للجماهير وادائها الثورية القائدة في التاريخ وهذه الموضوعة الواضحة الابعا والمعقدة بان معا هي التي اكسبت تاريخيا هذه القوة الثورية الشرعية والمشروعية النضاليتين التاريخيتين وحجبتهما عن غير من القوى الاخرى ممن خلت منها المقومات والاسس والمؤشرا المذكورة انفا ومن هي في سياقها التاريخي . وهنا لا ب من التحذير من ان الطليعة الثورية الواعية مطالبة باخضاع نفسه للمراقبة الدائمة وممارسة حرية النقد والنقد الذاتي والقيام بالتقو والمراجعة لمواقفها وقراراتها واجراءاتها كافة على صعيد تنظيمه الثوري اولا وعلى صعيد قيادتها للجماهير وللواقع المحيط بها ثا وبهذا وحده تضمن استمرارية منهجها الثوري المبدئي وصفائه ب الشوائب وتقوية مواقعها وعدم اختراق صفوفها والحيلولة دو تعرضها لخطر التصفية من الداخل او من الخارج من قبل القو المضادة للثورة التي غالبا ماتكون اكثر تنظيما وتسليحا واعدا واقوى مواقعا بحكم وجودها على راس السلطة في بلدانها . كم يضمن للطليعة الثورية الواعية في الوقت نفسه قراءة موضوعي ودقيقة للواقع يؤهلها لتلبية حاجاته الثورية المطلوبة . فا الصعوبات وافرازاتها المختلفة عندما تنجح الطليعة الثورية الوا في تقدير مدى ضرورات تجاوزها تدخل حينئذ في نطاق انتصارا النضالية وتادية دورها البارز على ساح النضال اليومية بين الجماه الى درجة تشعر معها حتى تلك الفصائل الثورية الاخرى الت تفتقر الى ماحازت عليه الطليعة الثورية الواعية من مقومات وشروط الى ضرورة اتخاذ احد موقفين لا ثالث لهما من هذه القيادة الطليع الثورية الواعية ونجاحاتها التاريخية **ويتمثل الموقف الاول** بالقب بالانضواء او الاندماج او التفاعل او التعاون مع الطليعة الثوري

الواعية وتحت راية قيادتها في المسيرة الثورية ويمثل هذا خيارا تاريخيا وواعيا في اطار جبهوي او اي اطارا اخر معبر عن هذا الخيار . **ويتمثل الموقف الثاني** بالاضمحلال والضعف والانسحاب من داخل التاريخ وذلك عبر عدم الاعتراف بالدور القيادي للطليعة الثورية الواعية بل وقد يصل الامر الى حدود المجابهة معها والامثلة كثيرة اليوم على هذا الموقف منها ما يجري في نيكاراغوا مثلا . ويبدا الطليعة الثورية الواعية عندما يتحقق له هذا الاعتراف الريادي بدوره جماهيريا ومن القوى الثورية الاخرى يكون بذلك قد عبر عن الصيرورة التاريخية الملحة للتحول الاجتماعي المنتظر وهي بوضعيتها التاريخية الحاسمة هذه وبما اشتملت عليه من مقومات واسس وما عبرت عنه من ضرورات تاريخية رائدها في ذلك العمل والعمل النضالي المؤزر ينطبق عليها حينئذ قول لينين الآتي «لايكفي القول اننا الطليعة، فصيلة متقدمة ، بل ينبغي العمل على نحو تدرك معه كل الفصائل الاخرى اننا نسير في طليعتها وعلى نحو تضطر معه للاعتراف بذلك..» ولقد اكد حزب البعث هذه الحقيقة التاريخية وعايشها سلوكا وممارسة وقد جاء في بعض منطلقاته النظرية . « **انه حزب الطليعة الواعية المستوعبة للاوضاع ولسير التاريخ والمؤمنة بالتقدم وحتميته (١)**».

وبذلك حدد البعث بوضوح الدور التاريخي الذي تتحمل مسؤوليته الطليعة الثورية الواعية في انجاز العملية الثورية وتحريك الجماهير المضطهدة ولذلك عرى اولئك الذين يدعون النضال وهم ابعد ما يكونون عن فعله الحقيقي وندد باولئك الذين يستخدمون المواعظ والخطب الرنانة وطرح الشعارات الجوفاء التي تؤخر قيام الفعل الثوري وتحرف النضال الجماهيري عن وجهته التاريخية الاجتماعية التقدمية ، هذا النضال الذي يقوم على تغيير الواقع الفاسد ووضع الجماهير في اتون الصراع مع اعدائها الطبقيين من اقطاعيين وبرجوازيين اومن هجين من هذا او ذاك او سلفيين رجعيين . واكد ان بناء الوعي الجماهيري الثوري ورفع سوية الوعي الاجتماعي لا يمكن ان يكون الا بـ « ... **الثورة (...) ان هذا الاسلوب وحده هو الذي يوصل الى رشد الجماهير وتوعيتها .**

(١) ــ من بعض المنطلقات النظرية للحزب التي اقرها المؤتمر القومي السادس في تشرين الاول عام ١٩٦٣ ــ ص ١٧ ــ ط ١ .

**ان الخطب الرنانة والمواعظ الحسنة لن ترفع من وعي الجما
وترجع لها الثقة بنفسها ، وانما الصراع والاحداث والانتكا
والانتصارات هي التي ترفع من مستوى الجماهير وتضعها
المستوى الذي يمكنها من مسك عجلة التاريخ ودفعها ا
الامام ... » (1) .**

وهنا خلاصة الاستنتاج الجوهرية فالطليعة الثورية الوا
عندما تنجح في خلق هذه الحالة الجماهيرية الصاعدة التي ا
اليها البعث وبالتفاعل الخلاق بينهما في اطار علاقة الصراع مع الق
الطبقية المضطهدة (بكسر الهاء) تمسك الجماهير بدفة الت
التاريخية وتدفعها الى الامام مع الاتجاه العام لخط التطور الا
الحضاري التقدمي .

● **ثالثا ــ الكمون الثوري الجماهيري :** يرتبط كل من الو
**الثوري ومبدا الطليعة الثورية الواعية بمبدا الكمون الثوري الجماهي
ارتباطا عضويا عميقا في نطاق العملية الثورية النشطة والصا
فمبدا الطليعة الثورية الواعية ومسالة الوعي الثوري لا يجد
تاثيرهما الفاعل الا في حال الوجود كمون ثوري كبير مختزن في الجما
المضطهدة (بفتح الهاء)** ومهيا للانفجار عند توافر شروطه الموضوعـ
الخارجية ومعروف ان مثل هذا الكمون يوجد حيث يوجد الق
والقمع والضغط الطبقي الذي تمارسه القوى الطبقية المضطهـ
(بكسر الهاء) فمثل هذه العوامل وغيرها التي تؤجج معاناة الجما
وتجعلها تختمر وتنضج مع اشتداد عامل الصراع وتزايد آثا
السلبية التي ترزح الجماهير الكادحة تحت ثقل وطأتها ، تـ
الفرصة التاريخية امام الطليعة الثورية الواعية للعب دورها التاريـ
المنشود بعد او وصلت التناقضات الطبقية الى ذروتها و
علاقات الانتاج القائمة والقوى المنتجة التي تمثلها تقف حجر عثـ
في وجه عملية التغيير التي يفرضها خط سير التطور الاجتما
الصاعد وتموضعه كضرورة تاريخية ملحة هنا انسجاما مع قوا
تطور المجتمعات الانسانية التي تحكم حركتها الداخلية حيث تنضـ

(1) ــ المصدر السابق نفسه ــ ص ١٨ ــ ط ١ .

عملية الصدام هي الحل الوحيد الحاسم لهذا الوضع الاجتماعي التاريخي المعقد التي تلعب الدور البارز فيه القوى الطبقية المتناحرة فاذا ما احسن استخدام هذه الفرصة وبتوافر شروط اخرى مساعدة تتعلق بدرجة الاستعداد والامكانات المتاحة بين يدي الطليعة الثورية الواعية ، **تصبح مسالة الانتقال من نمط تشكيلة اجتماعية انتهى دورها التاريخي الى نمط تشكيلة اجتماعية جديدة مسالة وقت ليس الا كما اشرت في بداية الموضوع ولنا في تجربة حزب البعث العربي الاشتراكي دروسا معمقة وخبرات غنية في هذا المجال والتي امتدت منذ الاربعينات من هذا القرن وتكللت بالنجاح والانتصار في الثامن من آذار عام ١٩٦٣ من القرن نفسه مسجلا حدثه التاريخي الكبير بالقضاء على النظام الاجتماعي الاقطاعي ــ البرجوازي الكومبرادوري الهجين الذي كان سائدا وبكل ما كان يرمز اليه آنذاك ، وبداية اقامة النظام الاجتماعي الثوري الجديد ، مجتمع العدالة الاجتماعية، المجتمع العربي الاشتراكي الموحد .**

● **رابعا ــ بعض الاستنتاجات المهمة على طريق مسيرة الحركة الثورية العالمية :**

ان الدروس والعبر التي تعلمتها واكتسبت خبرتها الحركة الثورية العالمية ومع احتدام واتساع نطاق الحرب الايديولوجية وخصوصا في الاعوام الاخيرة من هذا العصر يثبت تماما ان الاحزاب الثورية التي تواجه القوى الرجعية المحلية وحليفتها الامبريالية العالمية ، قد تخطت بعض ازماتها وان كانت ما تزال بحاجة ماسة لاعادة النظر في بنيتيها التنظيمية والفكرية وفي برامج عملها واساليب صياغة اهدافها وطرائق تفاعلها مع جماهيرها وبما ينسجم وطبيعة الصراع وضروراته في مواجهة الاوضاع الشاذة تاريخيا او ما يمكن ان ينتج عنها من تطورات لاحقة وبكل ما تعنيه هذه الاوضاع من علاقات انتاجية وقوى انتاج فاعلة ومؤثرة والدور الذي تؤديه وعلى اي مستوى كان . فمسائل كالوعي الثوري

والكمون الثوري وتحقيق مبدا الطليعة الثورية الواعية وتصعيد الحالة الجماهيرية ضمن نشاطية الصراع الذي تقوده الاحزاب الثورية الطليعية في دول العالم وغيرها من المسائل الحيوية والمهمة لنضال الاحزاب الثورية ، ليست الا بعض مقدمات ضرورية لهذا النضال هذا ويجب ان تكون موضوعة في اعلى درجات اهتماماتها وممارساتها الكفاحية اليومية اذا ما ارادت لنفسها لعب دورها التاريخي المنتظر منها وان تتجنب عملية التصفية لها ولجماهيرها من قبل القوى الرجعية والامبريالية المتحالفة معا والاكثر تنظيما وامكانات والتي لا ترعوي عن استخدام كل الاساليب المتاحة بين يديها اذا ماشعرت بتهديد حقيقي لمصالحها ولوجودها معا . ان الاحزاب الثورية في قارات اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية عندما تكون على مستوى الحدث التاريخي الكبير والتحديات التي يفرضها فانها ولا شك ستتمكن من تحقيق بعض الانتصارات على طريق المسيرة الثورية العالمية والاسهام في اسقاط حصن اخر من حصون القوى الرجعية المحلية والامبريالية العالمية وتحقيق مبدأ الانتقال الى نمط تشكيلة اجتماعية تاريخية تقدمية جديدة بعدما توافرت لها كل الشروط الذاتية والموضوعية الضرورية التي تكفل لها مثل هذا الانجاز الانساني العظيم .

(هـ) (هـ) (هـ)



حَول المسألة الثقافيَة:
مفهومها. أسسها. خصائصها. مستوياتها

الرفيق عدنان مسلم

عندما تطرح « المناضل » موضوعا فكريا مهما كمفهوم الثقافة وخصائصه الرئيسة هنا ، انما تطرحه من باب ما يحمله مثل هذا الموضوع من اهمية فائقة اولا على صعيد سياسات الحزب الثقافية في اطار اهدافه الاستراتيجية وثانيا لاخضاع هذا الموضوع بين الرفاق في الحزب للحوار والمناقشة الموضوعية اللذين فيهما وحدهما يمكن اغناء المسالة الثقافية ومعالجة اوجه القصور فيها وتلبية حاجاتنا الفكرية منها وفقا لمنهج البحث العلمي وفي اطار حركة البعث الثورية المتصاعدة .

« المناضل »

اولا — في تحديد المفهوم :

ترد كلمة Culture (ثقافة) في المعجم الفرنسي توضيحا لمجموعة من المعارف المكتسبة من البنيان الاجتماعي او الديني او الاقتصادي فهي بهذا المعنى مجموعة من الجوانب الفكرية والفنية التي تميز الواقع الاجتماعي او المجتمع .

وتتفق المعاجم الانكليزية والالمانية في تعريف كلمة Culture (الثقافة) فتشرحها على انها :

– هي تطور قدرات الانسان « تطور الجسم والعقل والروح وهي التطور الفكري » في الفنون والعلوم ... في المجتمع الانساني وهي مجموعة الفنون والمعتقدات والمؤسسات الاجتماعية التي تميز مجتمعا ما .

وقد جاء في معجم العلوم الاجتماعية عن الثقافة بانها «استجابة الانسان لاشباع حاجاته . فهي الوسائل التي يلجا اليها الانسان لاشباع تلك الحاجات. وتقوم الحياة الانسانية على حاجات ضرورية مثل الماكل والمشرب والملبس والعيش في طمانينة واتقاء الامراض واشباع الدوافع المتنوعة ... » (١) وتاسيسا على هذا التحديد يشير المعجم نفسه الى ان هناك خصائص رئيسة للثقافة ترتبط بهذا التعريف هي :

١ – انها اختراع او اكتشاف انساني ، فليس للحيوان ثقافة لانه يعيش على الغريزة ، فالثقافة تتميز بأنها انسانية .

٢ – انها تنتقل من جيل الى جيل على شكل عادات وتقاليد ونظم وقوانين ، وكل جيل يضيف اليها نماذج جديدة . كما تنتقل من وسط اجتماعي الى اخر .

٣ – انها قابلة للتعديل والتغيير ، اذ يلجا كل مجتمع وكل جيل الى تغيير نماذجه وفق ما يحيط به من ظروف خاصة به ..(٢) كما جاء في المعجم الفلسفي حول الثقافة ما يلي : (٣) .

(١) – مجموعة من المؤلفين ، معجم العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص١٩٩

(٢) المصدر السابق .

(٣) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٧٨ .

« ثقف الرجل ثقافة ، صار حاذقا وثقفت الشيء حذقته والرجل المثقف : الحاذق الفهم ، وغلام ثقف ، اي ذو فطنة وذكاء والمراد انه ثابت المعرفة بما يحتاج اليه . »

« والثقافة بالمعنى الخاص هي تنمية بعض الملكات العقلية او تسوية بعض الوظائف البدنية ، ومنها تثقيف العقل ، وتثقيف البدن ومنها الثقافة الرياضية ، والثقافة الادبية ، او الفلسفية » .

« والثقافة بالمعنى العام هي مايتصف به الرجل الحاذق المتعلم من ذوق وحس انتقاد ، وحكم صحيح ، او هي التربية التي ادت الى اكساب هذه الصفات .. » .

ان علماء الانثروبولوجيا الثقافية الذين يتفقون على ان الثقافة هي موضوع علمهم ، يختلفون في تحديدها كمفهوم او كتعريف ، فبعضهم عرفها بانها «السلوك المكتسب» والاخر يعتبرها تجريدات ماخوذة من السلوك وبعضهم يعتبرها اشياء مادية ، وغيرهم اشياء معنوية ...

غير ان هذه الاختلافات توصلت الى حد الاتفاق نوعا ما في نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين وذلك من خلال التعريف الشهير الذي وضعه العلامة (تايلور) وهو :

« الثقافة .. هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا في مجتمع ..» (١)

ويشير في موضوع اخر من كتابه « الثقافة البدائية » وهو الكتاب الذي حدد فيه التعريف المذكور ، الى تاكيد ان الثقافة تشتمل ايضا على الاشياء مثل الفاس والقوس والرمح وما الى ذلك .

(١) – د . عاطف وصفي ، « الثقافة والشخصية » ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ ص ٦٨ .

وكذلك على الفنون العملية مثل صيد السمك ، واشعال النار ... (أي جميع الجوانب المادية) وهو بذلك يعتبر أن الثقافة هي الجوانب المادية والمعنوية معا .

وهكذا نلاحظ تعدد التعاريف وتباين الاراء احيانا واتفاقها احيانا اخرى حول توضيح مفهوم الثقافة ، الا ان الدراسات السوسيولوجية المعاصرة التي تنظر الى مفهوم الثقافة عبر حركة التطور الاجتماعي للمجتمع او المجتمعات البشرية ، وتربط ذلك بالتطور العلمي والتكنولوجي ... تؤكد ان هذا المفهوم (أي الثقافة) تطور الى حد كبير فقد اصبح يتناول ويشمل نواحي الحياة كافة ومختلف الابعاد والصور التي بلغها النشاط البشري متوجا ذلك بالفكر والعمل .

ان النظريات المعاصرة التي تؤكد اهمية الربط بين النظرية والواقع ، والتي تؤمن بالممارسة والتطبيق العملي على انهما المحك لكل ثقافة او معرفة ، تقدم تعريفا للثقافة يتصف بالثورية ، والثقافة الثورية في ضوء ذلك تتجاوز تفسير الوقائع الموجودة الى الافاق المستقبلية الفاعلة الهادفة الى التطور المستمر والدائم دون سكون ، فاحداث تغيرات حقيقية في الواقع وامتلاك الحرية ، وربط المعرفة بالواقع الاقتصادي- الاجتماعي ، مقومات ومؤشرات تبين ابعاد هذا المفهوم المعاصر وتطوره .

وقد اولت الاحزاب الثورية بشكل خاص ، اهمية فائقة لهذا المفهوم ، **فحزب البعث العربي الاشتراكي** ، يعتبر ان العملية التربوية والثقافية من المسائل الجديرة بالاهتمام ، وقد اكدت مؤتمرات الحزب دور الثقافة واهميتها: اذ ان ممارسة الديمقراطية ستبقى مبتورة وسطحية وشكلية اذا لم تقترن بتثقيف سياسي يوفر للجماهير الحد الادنى من الثقافة الذي يمكنها من استيعاب الامور العامة والخطوط العريضة لقضايا السياسة والبناء الاشتراكي .. وقد جاء ذلك في بعض المنطلقات النظرية للحزب مشيرا الى (ان

ممارسة ثورية للديمقراطية تقتضي التثقيف العلمي الدائم في صفوف الحزب ... » (١) .

وواضح اهمية هذا القول من خلال تأكيد تلازم ممارسة الثقافة بممارسة الحرية والديمقراطية ، فكما ان «لا رأي لجاهل » فايضا (لا رأي لمستعبد) فالحرية والمعرفة توأمان حقيقيان يشكلان جزءا كبيرا من شخصية الفرد وعلاقاته في المجتمع فالثقافة اذن ، فكر وعمل في الواقع ، ومن خلاله تشمل نواحي الحياة كافة ، على طريق النشاط البشري وتوافر الظروف الموضوعية المناسبة .

ثانيا ـ انواع الثقافات ومستوياتها :

كثيرون هم اولئك الذين يعتبرون أن الثقافة تكتسب من خلال الجماعة التي يكون الفرد عضوا فيها ، لذلك منهم من يقول بوجود **ثقافة العمل** ، اي تلك التي تمارس خلال عملية الانتاج ، فما يكتسبه الافراد من نماذج وانماط فيما بينهم في اثناء وجودهم في قطاع الانتاج يعتبر نوعا من الثقافة وبالتالي يسمى بـ (ثقافة العمل) . وفي التحديد الطبقي لهذا المفهوم (الثقافة) نستطيع ان نقول ان هناك ثقافة الطبقة الاقطاعية ، وثقافة الطبقة البرجوازية وثقافة البروليتاريا ، وثقافة الجماهير التي تمارس من قبل عامة الشعب .

وكذلك الثقافة المادية التي يعبر منها بالاشياء المادية التي يصنعها الافراد من الات ، وملابس : ومسكن .. والثقافة المعنوية التي تشمل الافكار والنظم والشعائر والفنون وكل ما يتعلق بالاشياء المعنوية ، ثم الثقافة المنتشرة والتي تحدث عنها عالم الانسان الامريكي (الفالنتون) اذ قسمها الى ثلاثة عناصر هي :

(١) حزب البعث العربي الاشتراكي ، بعض المنطلقات النظرية ، ص ٥٢.

١ ـ العنصر المادي (يشمل الانتاج الصناعي)

٢ ـ العنصر النفسي (يشمل المعرفة والمواقف والقيم) وهذا ما يعبر عنه بالمظهر المستتر .

٣ ـ العنصر الحركي (يشمل السلوك الظاهر)

فالثقافة المستترهي الظواهرالنفسية والميول العامة التي تميز الافراد في جماعة ما عن باقي افراد الجماعات الاخرى ، وسميت بذلك لانها تتعلق بالجانب الباطن من الافراد او بداخليتهم .

ولا شك بان العلاقة مترابطة بين انواع الثقافة ومستوياتها اذ ان مستويات الثقافة تنطلق من ان الانسان البسيط بدا يصنع ثقافته البسيطة على طريق تكيفه مع البيئة والمجتمع لذلك وجد **المستوى الثقافي البدائي** الذي حدده الانسان في مراحل تطوره الاولى عندما كان يعتمد في تلبية حاجة الطعام من خلال ثمار الاشجار وصيد الطيور والحيوانات وحاجة المأوى من الكهوف وغيرها ، وكذلك بقية الحاجات الاخرى . وتطور هذا المستوى الثقافي البدائي مع تطور الانسان وتطور المجتمع حتى بات ما يسمى **بالمستوى الثقافي المتمدن** ، الذي يترجم تطور الانسان والمجتمع من جميع الجوانب بآن واحد .

وهكذا اذا ما انطلقنا في تحديد المستوى الثقافي على طريق التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية فنستطيع القول : ان كل مستوى ثقافي ما يرتبط بتشكيلة اقتصادية ـ اجتماعية ما . فهناك المستوى الثقافي المشاعي الذي يعبر عن الجانب المادي وغير المادي في المجتمع المشاعي ، والمستوى الثقافي العبودي الذي يبلور ايضا شروط العلاقات الانتاجية العبودية في المجتمع العبودي ، والمستوى الثقافي الاقطاعي الذي يوضح علاقات الانتاج الاقطاعية وسيطرة الاقطاعي الكاملة على الفلاح ومسالة ريع الارض وغير ذلك ، والمستوى الثقافي البرجوازي الذي يترجم مبدا الملكية الخاصة للقلة المحتكرة وعلاقات

الانتاج الراسمالية وبنية المجتمع الراسمالي بشكل عام ، وهناك ايضا المستوى الثقافي الاشتراكي الذي يتضمن محتوى ثقافيا يعبر عن واقع المجتمع الاشتراكي بجميع خصائصه .

واذا انتقلنا من هذا التحليل الى الواقع الراهن وقلنا ان هناك مجتمعات متقدمة واخرى نامية ، وثالثة متخلفة ، فنستطيع ايضا القول بالمستوى الثقافي المتقدم، والمستوى الثقافي النامي، والمتخلف ولا شك انه توجد اختلافات فرعية شكلية او ضمنية في كل مستوى من هذه المستويات .

ثالثا ـ خصائص الثقافة :

يتميز الانسان عن باقي الكائنات الاخرى بأنه يقوم بصنع الثقافة والحفاظ عليها ، وينقلها من جيل الى جيل ، ولا حظنا ان الثقافات تختلف وتتعدد لكنها ايضا تشترك في خصائص عامة نذكر منها :

أ ـ الثقافة انسانية : باعتبارها تحوي تجريدا لقيم يصوغها الافراد في المجتمع، وباعتبارها تتضمن جوانب معنوية كالفن والشعر والادب ، والفلسفة ، والدين .. وباعتبارها تشمل جوانب مادية ايضا كالمخترعات والكشوف العلمية الباهرة ، وكل هذه قد تعبر في مضمونها عن مواقف انسانية تجاه قضايا الشعوب . فمثلا عندما تدين الشعوب الموقف العنصري لجرائم الصهيونية في فلسطين ، وبحر البقر ، ودير ياسين ، وفي لبنان (مخيمي صبرا وشاتيلا) فما ذلك الا مواقف انسانية تتسم بها الثقافة بجانبها المادي والمعنوي بآن واحد . ناهيك عن ان الثقافة بمضمونها تؤمن بالانسان وتعتبره اسمى غاياتها ، فهو الذي يتميز بقدرات عقلية فريدة تتيح له امكان الابتكار والابداع والتغيير والتكيف ...

ب ـ الثقافة مكتسبة : وهي بذلك عملية تراكمية تنتقل من جيل الى اخر ، فمنذ ولادة الانسان يتعلم على طريق الخبرة

الشخصية وتعلم الآباء وغيرهم كل ما يحيط به ، وما هو حوله ، وهكذا مع مراحل تطوره وانتمائه الى جماعات الرفاق والمدرسة والمنتديات الثقافية والعلاقات الاجتماعية وغير ذلك . .

ح ـ الثقافة افكار واعمال : فالانسان في مجتمعه يحقق مجالات متعددة ، مادية : تشمل الادوات والمسكن وغير ذلك ، وجميعها من عمل الانسان ونشاطه . واجتماعية تتضمن النظم والظواهر الاجتماعية من عادات وتقاليد وزواج . . . تحدد علاقات الناس في المجتمع ، وكذلك النظم السياسية والاقتصادية وغيرها ، وهذه

اضافة الى ان الجوانب المادية والاجتماعية جميعها تشترك بصفة انها جملة من الافكار والاعمال . فصنع الادوات وبناء المسكن ونظم الزواج وتحديد علاقات الصداقة ، ونظم الدخل والتوفير والاستهلاك كلها تحتاج الى تفكير مسبق لوجودها وتنفذ من خلال عمل الانسان ، بعد ان تكون فكرة يبغى تنفيذها لذلك تتصف الثقافة بانها افكار واعمال من صنع الانسان .

د ـ الثقافة منظومة متفاعلة : تحوي الثقافة عناصر متشابكة متداخلة متفاعلة يصعب عزل بعضها عن بعض على المستوى العملي الا انه من الممكن على المستوى التحليلي ان نميز بين اجزاء بسيطة واخرى معقدة او مركبة انطلاقا من ان السمة الثقافية تتألف من وحدات ثقافية، والمنظومة الثقافية الرئيسة وما في داخلها من منظومات ثقافية فرعية . فلو لاحظنا عنصر التنشئة الاجتماعية مثلا ، نرى انه يؤثر ويتأثر بجميع النظم الثقافية فيؤثر في الجانب الاجتماعي للفرد والاقتصادي ، والاخلاقي . . ويتأثر بهم أيضا .

هـ ـ الثقافة متنوعة المضمون : وهذا يرتبط بتعدد الثقافات وتنوعها ، ويختلف العلماء في تفسير هذا التنوع في مضمون الثقافة حيث يشير الكثير منهم الى ان هذا لا يعود الى عوامل تبدا من العقل البشري وتتمحور في البيئة الجغرافية والاجتماعية ومدى التفاعل

والتعاون والاتصال بين الجماعات الانسانية ، وتنتهي بالقيم التي يؤمن بها المجتمع الانساني (١) .

ان السمات العامة (الخصائص) للثقافة كل متكامل وكل حلقة بها ترتبط وتتداخل مع الاخرى لا يمكن فصلها ، واذا ماتم ذلك يؤدي الى فقدان وظيفة جزء يتفاعل مع منظومة كاملة مما يؤثر سلبيا على تلك المنظومة ، وتبدو مبتورة غير متكاملة .

هذا ولا بد من الاشارة الى الفهم الثوري المعاصر لسمات الثقافة المرتبطة بايديولوجية الاحزاب الثورية ومنها **حزب البعث العربي الاشتراكي الذي يعتبر « ان الامة العربية وحدة ثقافية »** (١) .

فهو في ذلك يبلور وجود ثقافة عربية قومية تستند الى دراسة التاريخ العربي والتعمق في دراسته وتحليله وبلورة النتائج منه، وهذا مايشمل الثقافة العربية بانها ثقافة قومية، ولانها كذلك ، فهي تحمل في عناصرها مقومات الوحدة العربية ، والاطار القومي لها تلازم مع اطارها الاشتراكي، وهكذا مايكسبها **ايضا الطابع التقدمي**

وتأسيسا على ماسبق يتضح لنا ان مفهوم الثقافة من اكثر المفاهيم الفكرية تعقدا وتداولا ، فقد كان ينظر اليه في بعض الاحيان على انه مفهوم وضعي ، وفي احيان اخرى على انه مفهوم بنيوي . كما ان بعض الباحثين الذين تأثروا بالمدارس النفسية والتاريخية والوظيفية اتجهوا في فهم الثقافة اتجاها سيكولوجيا وتكوينيا .

لقد اكتسب مفهوم الثقافة في النصف الثاني من القرن العشرين مضمونا اجتماعيا محددا حيث أصبح يتضمن ما يسمى بالتقدم الفكري الذي يحصل عليه الشخص او المجموعات الانسانية بصفة

(١) د. عاطف وصفي ، «الانثروبولوجيا الثقافية ، دار المعارف بمصر ، ص٩١»

(١) حزب البعث العربي الاشتراكي ، الدستور ، دستور حزب البعث العربي الاشتراكي ، ص

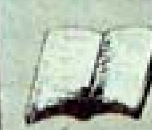
عامة » أما الجانب المادي من حياة الاشخاص والمجتمعات فقد افردت له كلمة ومفهوم حضارة . ومن هنا كان التشابك بين مفهومي الثقافة والحضارة ، واختلاف التعاريف حولهما . ان مفهوم الحضارة مرادف لمفهوم الثقافة عند علماء الانتروبولوجيا بشكل خاص فتايلورمثلا، وهو عالم انتروبولوجي انكليزي يعبر عن الحضارة والثقافة معا ويقول « هي تلك المجموعة المعقدة التي تشمل المعارف والمعتقدات والفن والقانون والاخلاق والتقاليد وكل القابليات والتطبيقات الاخرى التي يكتسبها الفرد كعضو في مجتمع ما . ويتفق معه ايضا دور كهايم في قوله « ثمة نوع من الظواهر ليس له اطار محدد واضح تنتقل عبر الحدود السياسية، وتنتشر في مناطق لايستطاع تحديدها بسهولة؛ تلك هي الحضارة او الثقافة »ومن .. يأخذ مفهوم الثقافة برأيه طابع الانتشار والتطور عبر التاريخ .

كذلك لا بد من الاشارة الى مسألة ارتباط مفهوم الثقافة بالالتزام اذ يقرر « اندريه جدانوف » :

« ان اثمن صفة في المثقف ، هي تحيزه الى قضية الجماهير وتفاعله معها . فالمثقف يجب الا يخشى اتهامه بالتحيز ، لانه لاحياد في المواقف على رغم ان الحياد نفسه موقف ، ولكنه موقف اللامبالاة والتحيز الى جانب الجماهير لا يعني الفوغائية في المشاركة بل هو نفوذ علمي وموضوعي الى جوهر القضية وعلى اساس هذا النفوذ الموضوعي تتخذ موقفا .. » (١) وهكذا فمن الممكن تحديد ابعاد الثقافة بجانبين رئيسيين الاول يرتبط بالمستوى التجريدي الذي يشمل الكيان العام للمجتمع ، والثقافة هنا تبدو كأنها تشمل الجوانب المرتبطة بالافكار والاساطير والفن والادب وطريقة التفكير واسلوب النظر للكون .. وهذا ما يمكن ان يشار اليه بالاساس الموضوعي لها .

(١) ــ اندريه جدانوف ، « ان الادب كان مسؤولا » ، تعريب رئيف خوري ، دار الفارابي بيروت ، ص ٦ .

والثاني يرتبط بالمستوى الذاتي وهو ما يشار اليه كما يسمى في معظم الاحيان بكلمة مثقف ، اي الذي يتميز بقدرة ذاتية عالية تسمح له بالنفوذ الموضوعي لاتخاذ الموقف الاجتماعي الذي يدفعه الى جوهر القضية المطروحة للبحث وتجاوز الواقع بما يعمل على تغييره لصالح اوسع الجماهير . ومن هذا المنطلق تعد الثقافة مفهوما يرتبط باوسع الجماهير ، يعبر عن مصالحها ويمتد في جذوره الى تراث تراكمي تتناقله الاجيال ، جيلا بعد جيل . اما المثقف فهو الاداة المنشطة الذي يأخذ من ذلك الينبوع على طريق الاستيعاب الاجتماعي ما يعمل على تجديد براعم الثقافة لتنمو وتنشر ظلالها الوارفة من خلال البحث والالتزام في المجتمع .



التربيـة الذاتيـة للشبـاب

الرفيق : د. سعيد حسين

مقدمـــة :

اصبحت عملية تطوير شخصية الانسان من النواحي العقلية والانفعالية والارادية في وقتنا الراهن مطلبا لايقبل التاجيل او التباطؤ في تحقيقه ذلك لان اي تقصير في هذا المجال سينعكس بشكل جلي على ماهية الانسان الذي نعده وفاعليته في مجتمعه ولم تعد تاثيرات المجتمع المتنوعة في اعضائه من خلال النشاط التربوي للمربين في المؤسسات التعليمية والتربوية والحزبية والسياسية والطلابية .. الخ بكافية لتحقيق التطوير المتكامل للشخصية في الواقع الراهن على الرغم من فعاليتها واهميتها في خلق الاستعدادات الكبيرة لدى الانسان لاستكمال تطوير شخصيته وتحقيق نمائها المستمر، ذلك لان التاثيرات التربوية الخارجية تحتاج باستمرار الى ان تعضد بتربية نابعة من الذات .

كذلك فان فاعلية الاعمال المتعددة التي يشتمل عليها نشاط الشباب سواء في الدراسة أو العمل المهني الوظيفي المتعدد ترتبط بشكل مباشر بمستوى تربيتهم وتثقيفهم لذواتهم، اي بمستوى تكوين وتطوير الصفات الشخصية الضرورية لهم واثراء ذواتهم بما هو ضروري لاعمالهم من معارف وخبرات ومهارات .

ان ماذكرناه يضعنا أمام مسالة تربوية اساسية هي مسالة الاعداد الذاتي للشباب المنبثق من الذات الواعية . هذا الاعداد يتحقق عبر شكلين اساسيين يكمل احدهما الاخر ويحققان بوحدتهما ونتيجة تأثير التربية العامة والخاصة ، الصورة النموذجية لشخصية الشباب التي يريدها المجتمع .. هذان الشكلان هما : التربية الذاتية ، والتثقيف الذاتي . ولكل شكل من هذين الشكلين مضمونه واسلوب تنظيمه والطرائق الخاصة المتبعة لتحقيقه ، وهذا يعني كما يقول الدكتور ر.ا.ف باراتشيكوف : « امتلاك لخواص وصفاته المميزة »(١) .

والدراسة الحالية تتناول الشكل الاول وهو التربية الذاتية من حيث جوهرها وسبل تنظيمها وقيادتها دون ان نخص بذلك قطاعا او فئة محددة من الشباب ، كالشباب في المعاهد او في المصانع والشركات.. كذلك لن تتطرق الدراسة الحالية الى كيفية تنفيذ التربية الذاتية في المستويات العمرية (طفولة ومراهقة) والدراسية (الدراسة الابتدائية والاعدادية والثانوية والجامعية) بل سيكون الحديث مركزا باطاره العام حول الشباب المنتج اي الممارس لنشاطات اجتماعية اقرها المجتمع ونظم سبل تحقيقها .

١ – بعض المفاهيم التربوية ذوات الصلة بالدراسة الحالية:

أ – التربية :

التربية كما حددها هيوبرت هي : « فن التعليم والتربية »(٢) . والتربية بمعناها العام هي : « جملة التاثيرات الخارجية التي تحقق

---

١ – مسائل التربية العسكرية – موسكو ١٩٨٥ ص ٢١٢

٢ – الدكتور علي ملفسي . فلسفة في التربية والحرية ص ١٥ .

ليس من خلال النشاط التربوي وحسب ، بل وفي سياق الحـ[ياة] الاجتماعية ايضا » .

اما التربية بمعناها الخاص فهي : « العملية المنظمة التي تهد[ف] الى تكوين خصائص وصفات محددة ومهارات وقدرات معينة لد[ى] الانسان ، لذا فانها تعتبر عاملا مهما في نمو الانسان من جميع النواحي وتحقيق التطور المنظم والمنسجم للشخصية » .

ب ـ التعليم :

يعتبر فن التعليم فرعا من فروع التربية ويدرس قوانين التعليم ومد ويبحث في افضل الطرائق والشروط واكثرها فعالية في اعداد المتعلمين لمهامهم الحياتية من حيث تزويدهم بالمعارف والخبر[ات] والمهارات الضرورية لنجاحهم في اعمالهم .

جـ ـ التربية المستمرة :

تعني العملية التربوية بكاملها مايشترك فيها من الافراد وكل ما يشترك فيها : « المجتمع باسره . واصبحت مهمتها الاساسية فيما يتعلق بالاطفال لا تنحصر في مساعدتهم كي يعيشوا بـ راضية ، بل لابد زيادة على ذلك ، من اعدادهم كي يصبحوا رجالا يعتمدون على انفسهم ، ويتعلمون بانفسهم » .

٢ ـ مفهوم التربية الذاتية وجوهرها :

يقول كانط : « لايستطيع الانسان ان يصبح انسانا الا بالتربية » هذا القول يضعنا مباشرة امام مفهوم التربية الذاتية التي يقصد بها النشاط الفعال والواعي للانسان والموجه لتكوين وتطوير صفات الضرورية لتنفيذ نشاطاته الاجتماعية والسياسية والمهنية بنجاح والتغلب على النواقص الموجودة لديه والمدركة من قبله .

يوضح التعريف السابق ان التربية الذاتية محددة بحاجة الانسان

١ ـ الدكتور بدر الدين عامود . اسس التربية العسكرية ص ٦٤ .
٢ ـ الدكتور بدر الدين عامود . اسس التربية العسكرية ص ٦٤ .
٣ ـ الدكتور علي ماضي . فلسفة في التربية والحرية ص ١٩ .

لتطوير صفاته الشخصية والمهنية .. ومن الطبيعي ان نجد التفاوت الكبير بين الناس في مستوى تلك الحاجة ومستوى العمل لتحققها . هذا التفاوت الذي يرجع لجملة من العوامل التي يأتي في مقدمتها :

١ ـ مستوى معرفة الانسان لذاته ، ومستوى تفكيره ومعرفته لعمله وآفاقه المستقبلية، ومستوى خبراته، ومدى سلامة تقويمه لامكاناته بموضوعية ، ومستوى مراقبته الذاتية لسلوكه ونتائج اعماله ، ومستوى امكاناته في احداث التعديلات الايجابية على خططه الذاتية وعلى افعاله واعماله .... الخ .

٢ ـ مستوى معرفة الانسان للتربية الذاتية ولاهدافها .

٣ ـ مستوى معرفة الانسان لاهمية النقد الذاتي وكيفية تنفيذه .

٤ ـ مستوى شعور الانسان بالمسؤولية الشخصية والاجتماعية لافعاله واعماله .

٥ ـ مستوى معرفة الانسان وتمثله لنماذج وامثلة واقعية في مجالات متعددة من النشاطات الاجتماعية (رئيس عمل ، قائدة وحدة ، فنان ، عالم ...) كان لجهودهم الذاتية دور كبير في نجاحهم في اعمالهم وفي تقدم المجتمع ..

ان جوهر التربية الذاتية تحدده حاجات الانسان (المادية والروحية) التي تضبط نشاطه وسلوكه وتوجه تفكيره ومشاعره وارادته .. ولكن عبر ذلك كله فان الدور الاساسي في التربية الذاتية يتعلق بالحاجات الروحية مثل الحاجة الى العمل ، والمعرفة والابداع ، والنشاط الاجتماعي .. هذه الحاجات محددة ومشروطة اجتماعيا ولايمكن فهمها وتفسيرها خارج دائرة المجتمع .

تدرك الحاجات من قبل الانسان في صيغة اهداف لها طابعها « المثالي » لانها تعبر عن الحدود العليا التي يطمح الانسان للوصول اليها على طريق التربية الذاتية والتثقيف الذاتي .

فالقيمة التربوية العملية للاهداف هي التي تمكن الانسان من ان يكشف التباين بين المنجز وبين الاهداف المراد انجازها ، وتدفعه لاجراء بعض التعديلات الضرورية في عمله واسلوب ممارسته له حتى يصل في النتيجة الى التحقيق الامثل للاهداف المحددة . هـذا يعني ان الاهداف بعد تمثلها والاقتناع باهميتها تصبح بمستوى قوى واقعية موجهة لاعمال الانسان وافعاله نحو الغايات الاساسية .

الحاجات ليست كل شيء على الرغم من وضوح الاهداف التي تبغي تحقيقها ، انها تعمل على تكوين الدوافع ، لانها عاجزة عن تحقيق ماتبغيه من دون تحديد دقيق للدوافع المناسبة لذلك ..

ودوافع الانسان للتربية الذاتية قد تكون معبرة عن مختلف طموحاته الحياتية مثل الدوافع للعمل العلمي والاولى الخ .. وهي مكونة على اساس الحاجات ، والحاجة كحاجة تصبح دافعا محددا عندما تعي وتعرف اهدافها . فالحاجة الى المعرفة حاجة عامة ولكن عبر صيغة الاهداف العامة لها وعبر وعي وادراك متطلبات المجتمع في هذا المجال تتشكل الدوافع المحددة في المجال المعرفي وهكذا ..

يتضح مما ذكرناه ان الحاجات سابقة للدوافع ، وانه لمعرفة حقيقة الدوافع للتربية الذاتية يجب معرفة الحاجات التي تقف وراءها .. كذلك لمعرفة مستوى ارضاء الحاجات الاساسية يجب معرفة مستوى القوة للدوافع المتكونة على اساسها .

هنا قد يطرح السؤال التالي : ما الدوافع الرئيسية التي تدفع الانسان للتربية الذاتية بشكل عام ؟ وانساننا بشكل خاص ؟ وما مستوى تحقق تلك التربية ؟ هذا السؤال ليس فقط محددا لجوهر مانحن بصدده بل هو بحاجة الى التحقق عمليا حتى تكون الاجابة عنه وافية .

ولكن نظرا لتعذر الاحاطة بكل مايتضمنه هذا السؤال على الاقل حاليا فانني ساعرض لنتائج احدى الدراسات السوفيتية المنفذة في

القوات المسلحة السوفيتية : (١) ـ يوضح الباحث ان الدوافع الرئيسية للتربية الذاتية للشباب المبحوث (العينة المبحوثة) تحدد في التالي :

١ ـ الدافع الكبير للاستيعاب العميق للفلسفة الاشتراكية .

٢ ـ الدافع الكبير لامتلاك الصفات الاخلاقية والثورية .

٣ ـ التاثير الكبير للقادة ..

واذا ما اضفنا الى ماورد ذكره ان اكثر من ٩٥٪ من افراد العينة المبحوثة يمارسون التربية الذاتية راينا مدى تاثير المجتمع في اعضائه ومدى وعي والتزام اعضاء المجتمع بمسؤولياتهم نحو مجتمعهم .

اما بالنسبة للدوافع الرئيسية التي تدفع شبابنا للتربية الذاتية، فانه يصعب تحديدها بدقة وذلك لندرة الدراسات في هذا المجال من جهة ، وندرة ماكتب حول التربية الذاتية والتثقيف الذاتي من جهة ثانية ، ولكن مع هذا يفترض أن تكون باطارها العام محددة في:

١ ـ الدافع لاستيعاب منطلقات الحزب النظرية وتوجهاته العلمية والعملية .

٢ ـ الدافع لامتلاك الصفات الحزبية السياسية .

٣ ـ الدافع للتطوير والتجديد في مجالات العمل ايجابيا .

٤ ـ الدافع للتغلب على المعوقات المادية والفكرية والمؤثرة في حركة تطور العمل والمجتمع .

تلك وفق وجهة نظري من اهم الدوافع التي يجب ان تعمل سائر وسائل التاثير الاجتماعي المباشرة وغير المباشرة على تكوينها لدى انساننا وعلى اسس ومرتكزات علمية وثورية تتناسب مع متطلبات مجتمعنا الراهنة والمستقبلية .

وتاتي **المثل** من حيث الاهمية في قمة الدوافع لتحقيق التربية الذاتية ، والمثل قد تكون شخصيات محددة تمتلك صفات وخواص

(١) مسائل التربية العسكرية موسكو ص ٢١٥ .

عالية تحظى بالتقدير والاعجاب ، وقد تكون أفكارا أو قيما معينة لها قيمتها الاجتماعية الكبيرة .

والمثل العليا تؤثر بشكل مستمر في الانسان عندما يدرك محتواها وقيمها الاجتماعية والسياسية والعلمية .. لانها تتحول نتيجة ذلك الى قوى نفسية داخلية تدفع الانسان بفعالية لتجسيد مضمونها عمليا.

التربية الذاتية لشبابنا من حيث الجوهر يجب أن تتصف بجملة من الصفات منها :

١ ـ ان تكون ذات توجه ثوري محدد باهتمامات جماهيرنا وآمالها.

٢ ـ ان تكون ذات توجه مهني وظيفي .

٣ ـ ان تكون استمرارا للتربية العامة في الدولة وذات اسس ومرتكزات فكرية موحدة .

٣ ـ متطلبات تحقق التربية الذاتية الموجهة للشباب :

تتحدد اهم متطلبات تحقق التربية الذاتية الموجهة للشباب في التالي :

١ ـ يفترض بكل انسان أن يعمل وباستمرار على استكمال تطوير شخصيته ليكون اكثر فعالية في نشاطه واكثر وضوحا في الاهداف التي يسعى لتحقيقها ، واستعدادا لتنفيذها .

٢ ـ لما كانت التربية الذاتية من اهم الشروط الاساسية للنجاح في اي عمل ، فان تحقق تلك التربية بفعالية لدى الشباب مطلب اساسي تفترضه طبيعة الاعمال والنشاطات الاجتماعية وما تتطلبه من منفذيها من صفات وخواص نفسية مميزة للنجاح فيها . والتربية الذاتية بالاضافة الى كونها عملية واعية فهي ايضا عملية ارادية معرفية اخلاقية يتطلب تحققها الناجح وجود علاقة محددة واضحة بين الانسان وذاته وبينه وبين المحيطين به وبينه وبين النشاطات التي يمارسها .

هنا قد نجد من يقول : ان الانسان يحدث باستمرار التعديلات الكبيرة او الصغيرة على سلوكه نتيجة مؤثرات خارجية محددة عليه وهذا يتم بشكل عفوي .. نقول : انه حتى لو اجريت بعض التعديلات على مواقف الشخصية واتجاهاتها بشكل عفوي نتيجة المؤثرات الخارجية لايمكننا ان نقول في مثل هذه الحالة ان التربية الذاتية متحققة ، ذلك لان التدخل الارادي الواعي من الذات لم يتم ، وكذلك لان دور التراث في مثل هذه الحالة لايخرج عن كونه رد فعل لمؤثرات معينة لايتم على اساس اهداف محددة .

٣ ـ يتطلب تحقق التربية الذاتية مستوى محددا من تربية الشخصية وجاهزيتها للتحليل الذاتي والتقويم الذاتي والمقارنة الذاتية كما تتطلب موقفا وتصورا واضحا نحو صورة ما يجب ان يصل اليه الانسان وفقا لمعطيات محددة . هنا نجد انفسنا ازاء مسالة تربوية اساسية ، هي كيف نريد ان يكون انساننا ؟ وما يجب علينا عمله لاجل ذلك ؟ وما مستوى المنجز في هذا المجال ؟ .

٤ ـ توجد بعض المؤثرات الاجتماعية التي تؤثر سلبا في انساننا عبر اشكال متعددة منها : محاولة نشر قيم هابطة مثل : تفضيل العمل الحرفي على العمل الذهني ، وقيمة الانسان بما يملك .. وقيمة الانسان بمدى استثماره الفرص المتاحة له هذه المؤثرات السلبية وما ينتج عنها من قيم اجتماعية وسياسية هابطة تؤثر سلبا في المنهج العام للتربية التي ينفذها الحزب ، وتعوق التربية عن تحقيقها لاهدافها الاساسية. هذه الاتجاهات والمؤثرات السلبية تناقض اتجاه الحزب وتعمل على حرف الاجيال عن المبادىء والتصورات العامة المميزة لمجتمعنا والمحددة لآفاقه المستقبلية. وبالتالي تجعل مرتكزات التربية الذاتية للشباب وموجباتها غير موحدة . ونتاج ذلك كله لا يساعد في تكوين الاتجاهات والتصورات الموحدة باطارها العام لدى الشباب ..

لذلك ولكي نحد والى درجة كبيرة من تأثير المؤثرات الاجتماعية

السلبية ، لابد من ان ندحض فكريا كل الاتجاهات المضادة، ونحارب بحزم رموز تلك الاتجاهات ، ونسحق مصادر امداد تلك الاتجاهات وكل ما يكسبها فرصة البقاء .. لانها عوامل هدم في المستوى البنائي لانساننا .. لهذا كله يجب ان نوجه منابع التربية الذاتية ونحدد اهدافها العامة بشكل يحقق ارتباطها بالمجتمع وبمتطلبات بناء الاشتراكـي .

٤ ــ من التربية الى التربية الذاتية :

التربية الذاتية للشباب ذات طبيعة اجتماعية لانها ذات علاقة وثيقة بالتربية العامة والخاصة التي ينفذها المجتمع ويطلب تحقيقها من اعضائه . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فان تطوير الانسان لصفاته ومعارفه وخبراته انما يتم بشكل اساسي نتيجة تأثير المجتمع فيه ومتطلباته منه ، كذلك فان مايريد انجازه وما ينجزه انما يتم في اطار المجتمع الذي يعيش فيه ولاجله. ويتضح تأثير التربية في التربية الذاتية من خلال معرفتنا هدفها الذي يتحدد في بناء شخصية الانسان المتكاملة من النواحي المختلفة بما في ذلك خلق الاستعداد لديه لممارسة التربية الذاتية .

بطبيعة الحال نحن لانطلب من الاطفال ان يمارسوا التربية الذاتية بمعناها الذي سبق أن اشرنا اليه ، ولا من المراهقين ايضا بمقدار مانريد منهم التطبع بطابع المجتمع الذي ينتمون اليه ، لكننا بالمقابل نطلب من الشباب أن يمارسوا هذه العملية بشكل واع وهادف .

ان ماذكرناه يوضح ان التربية اسبق من التربية الذاتية من حيث الزمن ، ذلك لان الانسان على طريق التربية يكتسب جملة من المعارف والعادات والقيم الاجتماعية المتعددة من الاسرة والمدرسة والجوار، التي تمكنه من ممارسة نشاطاته الاجتماعية ومن تطوير ما اكتسبه بشكل يضمن له استمرارية العمل بفعالية ..

ان التربية الذاتية تتم على اساس التربية لانها بكل وضوح نتيجة لها ووظيفة من وظائفها التي تهدف الى تحقيقها لدى الانسان ، اي ان التربية تهدف في النتيجة الى جعل الانسان مربيا لذاته، وذلك من خلال وعيه لتلك الذات ومتطلبات فاعليتها على المستويين الاجتماعي والفردي . التربية بالنتيجة تمنح الانسان امكان استكمال تطوير شخصيته بشكل يتناسب مع متطلبات المجتمع .

ويتمثل دور التربية الاساسي في حفز الانسان ودفعه لتنظيم نشاطه التربوي ذاتيا ، وذلك من خلال معرفته الدقيقة للمتطلبات الخارجية واستخدامه الامثل للامكانات التربوية للنشاطات التي يمارسها الى جانب معرفته للشروط النفسية الداخلية وتحقيق الانسجام والتوافق بينها وبين المثيرات الخارجية هذا التمثل وذلك الاستخدام المنسجم والمتناسق للشروط والمثيرات الخارجية والداخلية ، يعد الشرط الاساسي لتحقق التربية الذاتية .

ان ماذكرناه يؤكد ان التربية الذاتية محددة اجتماعيا وتربويا بـ :

١ ــ متطلبات المجتمع من اعضائه . ٢ ــ متطلبات النشاطات الاجتماعية من ممارسيها ٣ ــ بطبيعة المسؤوليات الوظيفية من الانسان في المجال الذي يعمل فيه .

٥ ــ الاسس العامة في قيادة التربية الذاتية للشباب :

يرتبط نجاح التربية الذاتية للشباب بمستوى قيادة تلك العملية والتي تظهر من خلال نشاط القادة الذي يشتمل على جملة من الاجراءات التنظيمية والتربوية والتعليمية الموجهة بهدف ضمان تحقيق التطوير المتكامل والمنسجم لشخصيات الشباب .

ويلعب القادة المباشرون للشباب ــ في المؤسسات الحكومية والمصانع والشركات .. ــ دورا كبيرا في توجيه وقيادة تربيتهم الذاتية ، لانهم يتركون بصماتهم الواضحة عليهم في خضم ممارستهم

لنشاطاتهم المتعددة . القادة الناجحون هم أولئك الذين يجعلون عمل الشباب ونشاطهم المحك الرئيسي لاختبار معارفهم وبناء صفاتهم الشخصية الاساسية ، وذلك من خلال الاستخدام الامثل لمبدأ وحدة الوعي والنشاط في التخطيط والتنفيذ والمراقبة لسير تلك العمليـة وكيفية تحققها .

القادة الناجحون هم من يعمقون الصلة بين مايوجهون اليـه الشباب وبين الحياة ومتطلباتها منهم وهم ايضا من يعمقون الرابطة بين الانسان وعمله وبينه وبين من يعمل معهم .. وهم ايضا يستثمرون كل الامكانات المتاحة لتكوين الدوافع القوية نحو التربية الذاتية وتقوية الاتجاه النفسي لممارستها . انهم باختصار يأخذون بجملة من الاسس العامة التي تعد اساس نجاح القادة في تنفيذهم لمهامهم التربوية بما فيها التربية الذاتية للشباب . ويأتي في مقدمة تلك الاسس العامة ما يلي :

١ ـ أن يكون القادة مثالا يحتذى به فكريا وعمليا .

٢ ـ الدعاية الموجهة للخبرات التربوية المتقدمة وخاصة مايرتبط منها بشكل مباشر بالنشاطات التي يمارسونها .

٣ ـ استيعاب الشباب وتمثلهم العميق لافكار الحزب ومنطلقاته الفكرية في التربية الوطنية والقومية والاشتراكية .

٤ ـ معرفة الشباب الجيدة لطرق العمل الذاتي ومتطلبات النجاح في تنفيذها .

٥ ـ مساعدة الشباب في تحديدهم لمهام التربية الذاتية ولمضمونها ولكيفية التخطيط لها ، ولتحديد الطرائق والوسائل المناسبة في لتحقيق أهدافها الاساسية .

٦ ـ مساعدة الشباب في كيفية تقويمهم لصفاتهم الشخصيـة وتحديد مستوى تطورها بدقة .

فمثلا عندما يقوم الشباب مستوى صفاته السياسية لا بد من أن يكون واضحا لديه معنى كل صفة من تلك الصفات ، ودلائل تحققها الى جانب معرفته أهم المقاييس والمعايير التي يجب اعتمادها لتحديد مستواها لديه .. والشيء نفسه بالنسبة للصفات النفسية والمهنية التخصصية .

ان نشاط القادة الرئيسي يجب ان يكرس وباستمرار من أجل تمكين الشباب من ممارسة التربية الذاتية على أسس سليمة ، وهذا يعني أن يصبح كل شاب قادرا على تقويم ذاته خلال العمل وخارجه واحداث التطوير الايجابي لصفاته الشخصية وللعمل الذي يمارسه باستمرار .

٦ ـ التربية الذاتية (طرائقها ومراحل تحققها) :

اذا كان للتربية طرائقها الرئيسية التي تستخدم للتأثير في الافراد بغية تكوين الصفات النفسية الايجابية لديهم ، فكذلك للتربية الذاتية طرائقها الخاصة بها والتي تستخدم للتأثير من قبل الفرد في شخصيته بهدف استكمال تطورها .

يأتي في مقدمة طرائق التربية الذاتية : طريقة الالتزام الذاتي ، وطريقة التخطيط الذاتي ، والتحليل الذاتي ، والتقويم الذاتي ، والتصور الذاتي ، والاقتناع الذاتي ، والنقد الذاتي ، والحكم الذاتي ، والتشجيع الذاتي* ..

تختلف هذه الطرائق سواء من حيث مدلولها وكيفية استخدامها عن الطرائق المتبعة في التربية ، ذلك لان الانسان أصبح يتلقى التأثير التربوي من ذاته ؛ لانه أخذ دور المربي ودور الانسان وموضوع التربية . في التربية الذاتية يتجلى بوضوح كيف يصبح الانسان موضوعا للتربية وذاتا لها ليس نتيجة لتأثيرات خارجية فقط بل وهذا

* ـ طرائق التربية الرئيسية هي طريقة الاقناع ، وطريقة التمرين وطريقة التشجيع .

اهم شيء ـ نتيجة وعيه لذاته ودورها في ممارسة الفعل التربوي عليها .. في مثل هذا المستوى من التربية يمكن القول ان الانسان اصبح مربيا لذاته ، وهذا قمة مايسعى اليه المجتمع من اعداد لاجياله. كما تتحقق التربية الذاتية بشكلها الامثل خلال مراحل رئيسية يضمن مراعاة متطلبات كل مرحلة منها سلامة ممارستها ، وصواب توجهها وعمق تأثيرها الايجابي في الانسان .. ولكل مرحلة من تلك المراحل طرائقها ووسائلها الاكثر استخداما من غيرها . وهذا يعني امكان استخدام جميع طرائقها الانفة الذكر في كل مرحلة ولكن بدرجات متفاوتة من حيث التركيز والاهمية .

وهذه المراحل هي :

آ ـ مرحلة الوعي الذاتي والتحديد الذاتي .

ب ـ مرحلة التخطيط والتنفيذ .

ج ـ مرحلة التقويم الذاتي .

آ ـ المرحلة الاولى : يفترض من هذه المرحلة ان تكون مثل الانسان الموجهة لسلوكه واضحة ، وان تكون اهدافه من التربية الذاتية محددة وان يختار الطرائق الرئيسية لتحقيقها .

السمة الرئيسية لهذه المرحلة هي الوعي الذي يتكون نتيجة معرفة الانسان لذاته ولعلاقة هذه الذات مع المحيطين به ومع العمل الذي يمارسه الوعي الذاتي المتحقق وفق ما ذكر ، يدفع الانسان الى تحديد وتعيين مايجب عليه تنفيذه و الالتزام به . في مجال العمل وخارجه .

فنراه على سبيل المثال يضع ضوابط محددة لسلوكه مثل :

ـ العلاقة الرفاقية مع الزملاء

ـ تجنب خلق النزاعات في العمل .. الخ

ويضع ايضا ضوابط بصورة مبادىء اساسية محددة للمتطلبات الاجتماعية والسياسية والمهنية مثل :

ـ الالتزام المبدئي ضمن اوقات العمل وخارج اوقات العمل .

ـ تطوير العمل مهمة العاملين .. الخ

ان التزام الانسان بالمبادىء والقواعد السلوكية والاجتماعية والسياسية والمهنية يخلق لديه افضل الشروط النفسية لنجاحه فيما سيضع من خطط لتربية ذاته .

ولكن مستوى التزام الانسان بالمتطلبات الانفة الذكر يرتبط بطبيعة المؤثرات الخارجية وكيفية تلقي الذات لها ، فعلى سبيل المثال :

اذا شعر الموظف ـ م ـ في الشركة ـ ن ـ ان مدير الشركة وسائر المسؤولين فيها يشجعون المبرزين في اعمالهم ويبذلون الجهود المركزة للتغلب على العقبات التي تعترض العاملين في العمل .. يمكننا القول ان الشروط والمؤثرات الخارجية تؤثر ايجابيا في العاملين في هذه الشركة .

ب ـ المرحلة الثانية ـ مرحلة التخطيط والتنفيذ :

بعد ان يتم تمثل المرحلة السابقة بعمق يضع الانسان خطته التربوية الخاصة به. ويسعى لان تكون واضحة وواقعية. ويجب على الانسان في هذه المرحلة ان يحدد بدقة ماذا يريد ان يحقق اولا من حيث الاهمية .. ومن حيث الاستطاعة .

قد نجد احيانا الانسان الذي يريد كل شيء في المجال الذي يعمل به .. دون ان يعطي اي تفضيل لهذا العمل او ذاك ... هذا النموذج على صعيد العمل لا يريد شيئا ولا يحقق اي شيء يذكر !

كذلك قد نجد من يمارس نشاطا اجتماعيا ما ويوجه جهوده واهتماماته نحو مواضيع اخرى لا تتصل بطبيعة العمل الذي يشغله ... هذان النموذجان وما يماثلهما يفصحان عن نواحي متعددة يأتي في مقدمتها فقدان المقدرة على التمييز بين الرئيسي والثانوي في الاعمال

والاهداف ، وعدم توافق الميل والرغبة مع العمل الممارس .. ولكي تجد خططنا طريقها الى الحياة يجب ان نكون قادرين على توجيه ذواتنا وقيادتها وجهة الاهداف القريبة والبعيدة لاعمالنا . كذلك يجب ان نمارس المراقبة الذاتية والتحليل الذاتي لافعالنا واعمالنا ولصفاتنا الشخصية باستمرار .

ان تنفيذ هذه المرحلة كما في سائر المراحل الاخرى لا يخلو من المصاعب الذاتية والموضوعية ، والتغلب عليها يتطلب المران والتدريب الموجه وتصويب الاعمال المنفذة والالتزام الدقيق بمجمل محتويات الخطة المقررة ذاتيا .

جـ ــ مرحلة تقويم النتائج :

يقوم كل نشاط من خلال نتائجه ومدى تحقيقه للاهداف المحددة له . لذلك يجب ان يكون تقويم نتائج اعمالنا موضوعيا . ذلك لان **«المبالغة في النقد شيء مضر وخطر على تطور الشخصية مستقبلا»**.

فالتقويم الموضوعي لعملنا الذاتي يجب ان ينفذ بشكل منسجم مع متطلبات الخطة المعتمدة ، اي يراعي الجوانب التالية :

١ ــ الاعمال المنفذة في المرحلة المنصرمة ، ومدى توافقها مع الخطة .

٢ ــ النتائج الرئيسية التي يجب اعطاؤها اهمية مميزة حاليا .

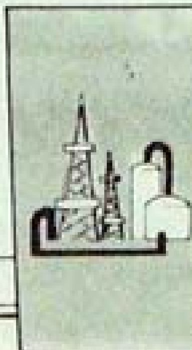
٣ ــ النواحي السلبية في العمل المنفذ .

٤ ــ المهام التي لم تتحقق في المرحلة المنصرمة والتي يجب ادراجها في الخطة الجديدة .

● ــ مسائل التربية العسكرية ــ موسكو ــ ص ٢١٧ .

ان تحقق المراحل الثلاث الانفة الذكر بشكل ايجابي يعني نجاح التربية الذاتية في تحقيقها لاهدافها .

اخيرا يمكننا القول ان فعالية الانسان في عمله الاجتماعي تقتضي منه ان يكون باستمرار مناضلا لتحسين عمله وتطوير ما يملكه من صفات شخصية ، والتربية الذاتية واحدة من العوامل الاساسية المحققة لتلك الفعالية .



دراسات اقتصادية

المقومات المادية وشروط التصنيع في الدول النامية ..

[illegible]

[ننشر فيما يلي الحلقة الثانية والاخيرة من هذه الدراسة ونتناول وسائل النقل ، واستراتيجية التصنيع ومدى ارتباطها بالبيئة الاقتصادية والاجتماعية ٠]

تلعب وسائل النقل والمواصلات دورا كبيرا في نقل المنتجات الى المستهلكين وايصال المواد الاولية بشكلها الزراعي والمعدني الى المؤسسات الانتاجية ٠ ان السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل تكفي وسائل

المواصلات والنقل والاتصال في الدول النامية حاليا لاقامة الصناعات ؟ يجيب عدد كبير من الاختصاصيين ان وسائل المواصلات الموجودة في الدول النامية حاليا ، اكثر من مثيلتها التي كانت متوافرة في الدول الغربية عند بدء التصنيع . ففي الهند مثلا وهي دولة من الدول النامية يبلغ طول شبكة المواصلات المخصصة للسيارات نحو ٩٠٠ الف كم ، منها نحو ٦٠ الف كم طرقا معبدة ، اما بالنسبة لعدد السيارات فقد بلغ في عام ١٩٧٦ ثلاثة ملايين سيارة منها مليونا سيارة للركاب وطول السكة الحديدية بلغ ٢٤٫٩ الف كم ، بينما بلغ مقدار البضائع المشحونة على القطارات في

عام ١٩٧٧ ما يقارب ٢٫٢٦ مليار طن كم ، وفي عام ١٩٧٥ بلغ وزن البضائع المشحونة على طريق الموانىء البحرية نحو ٦٢ مليون طن (١) .

من الطبيعي ان المقومات المادية كالخامات الطبيعية والطاقة ورؤوس الاموال والمواصلات وتوافر الكوادر الفنية والايدي العاملة الفنية تلعب دورا اساسيا في اقامة وتطوير الصناعات في الدول النامية ، الا انه هنالك عامل مهم جدا لا يقل اهمية عن العوامل السابقة الذكر الا وهو الوضع الاجتماعي القائم على طريق التطور الذي تنتهجه تلك الدول . وبتعبير ادق ان خطة التصنيع واهدافها ودورها في تطوير الاقتصاد الوطني ، مرتبطة عضويا بشكل البناء الاجتماعي والاقتصادي للدولة .

وتؤكد الوقائع التاريخية ان الدول النامية التي تسير في طريق التطور الرأسمالي تعاني من صعوبات كبيرة في تطوير صناعتها الوطنية ، لان الصناعة في تلك الدول موجودة فعليا في ايدي اصحاب رؤوس الاموال الاجنبية والشركات الاحتكارية العالمية التي تقوم بانشاء الفروع الصناعية ، والتي تخدم في كثير من الاحيان مصالح الدول الامبريالية ولا تتفق مع المصلحة الوطنية للبلدان النامية ، زد على ذلك ان الارباح الصافية لا تستخدم في التنمية الاقتصادية للبلاد النامية ، وانما ترسل مباشرة الى الدول الغربية ، اما البرجوازية المحلية فلا تعير اي اهتمام لتطوير الصناعات التي من شأنها ان تدعم وتقوي الاستقلال الاقتصادي ، بل تهتم بشكل رئيسي بالصناعات التي تدر عليها ارباحا كبيرة . وتكون النتيجة الحتمية لذلك افقار الجماهير الكادحة واضعاف الاقتصاد الوطني .

ونصل الى استخلاص مفاده انه حتى تستطيع الدول النامية تطوير صناعاتها الوطنية بخطوات سريعة فانه يتوجب عليها ان تقوم بتغيير جذري في البنية الطبقية على اساس ديمقراطي واشتراكي ، فتقوم بتأميم المصانع والشركات الاجنبية والقضاء على البرجوازية والاقطاع . وهذا من شأنه ان يسرع في عملية التطور الاقتصادي ، ويحقق سيادة الدول النامية على خاماتها الطبيعية وبالتالي تتوافر الظروف الملائمة التي تساند التطوير الصناعي القائم على التخطيط . ان الخبرة التاريخية والتجارب العالمية ، تؤكد ان الدول التي سارت في طريق الاشتراكية استطاعت وفي فترة زمنية قصيرة ان تصبح من الدول الصناعية المتطورة .

وبشكل خاص فان الدول النامية التي تسير في الطريق الاشتراكي

١ ــ الموسوعة العلمية السوفييتية الكبيرة ، « نشرة سنوية » ، موسكو ، منشورات « العلوم » عام ١٩٧٩ ص ٢٩٣ . باللغة الروسية .

ومثال ذلك سورية واليمن الجنوبية وانغولا وغيرها من الدول ، يحتل القطاع العام المكانة الاولى في الاقتصاد الوطني ويقوم بدور رئيسي في تطوير الصناعة الوطنية بعيدا عن الاستغلال والتبعية مستخدما التخطيط والبرمجة الاقتصادية . ان السيادة الوطنية على الاقتصاد في تلك الدول قد تحققت بحيث وضع حد لدور ونشاط رؤوس الاموال الاجنبية ، حيث اممت المصانع وقضي على الاقطاع.

ان هذه الاجراءات ساعدت وما زالت تساعد على الاسراع في انجاح الصناعات الوطنية بمختلف فروعها الاساسية مثل صناعة التعدين والصناعات البتروكيمياوية وصناعة الاسمدة والصناعات الغذائية ، كما بدات بانشاء نواة الصناعات الثقيلة في هذه الدول ، حيث تقوم الدول النامية بوساطة تلك الصناعات بتصنيع الخامات قبل تصديرها ، مما يساعد على زيادة الدخل القومي والتراكم المالي وتدعيم الاستقلال الاقتصادي .

ان استراتيجية التصنيع من دون شك ترتبط بالبنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الاقتصادية للبلد . الا ان اختيار الفروع الصناعية يخضع للعديد من وجهات النظر ، فبعض الاقتصاديين يؤكدون ضرورة البدء في اقامة الصناعات الخفيفة بينما يؤكد اخرون البدء في اقامة الصناعة الثقيلة ويرى فريق ثالث اهمية اكبر في انشاء طرق المواصلات . ويقترح اخرون الاعتماد على الزراعة وعدم اقامة الصناعة . وقبل بحث وجهات النظر هذه يجب علينا ان نلقي نظرة تاريخية مختصرة على مراحل التصنيع في بعض الدول التي تعتبر حاليا من الدول المتطورة صناعيا . فلو تناولنا انكلترا التي تعتبر اول دولة سارت في طريق التصنيع لوجدنا انها بدات بانشاء الصناعات الخفيفة كصناعة النسيج لتراكم رؤوس الاموال واختراع الآلات واستخدامها في السوق الداخلية والخارجية فانها تمكنت بالتدريج من اقامة الصناعات الثقيلة وهذا بالطبع تطلب فترة زمنية طويلة جدا .

اما الولايات المتحدة الامريكية والمانيا فانهما نتيجة لاستخدام الخبرات التقنية والعلمية التي توصلت اليها انكلترا ونتيجة لوجود كميات كبيرة من الخامات والمواد الاولية مضافا الى تلك الكثرة البشرية تمكنتا من انشاء الصناعات الثقيلة اسرع بكثير من انكلترا .

وبالنسبة لليابان فانها اصبحت من الدول الصناعية الكبرى خلال فترة وجيزة وساعدها في ذلك توافر الايدي العاملة الرخيصة واستخدام براءات الاختراع

والوثائق العلمية عن طريق شرائها من الدول المتطورة .

الا انه من الضروري الاشارة الى أن الدول الامبريالية استطاعت ان تنشيء صناعاتها هذه على حساب استغلال شعوب المستعمرات ونهب خيرات الدول النامية التي وفرت لها مواد اولية رخيصة للصناعة واسواقا واسعة لتصريف منتجاتها .

اما التصنيع في الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى فقد تم بطريق اخر هو طريق التصنيع الاشتراكي . فالاتحاد السوفيتي على الرغم من المصاعب الداخلية الناتجة عن الحرب الاهلية واثار العدوان الفاشي الالماني والحصار الاقتصادي من قبل الدول الامبريالية ، استطاع ان ينشيء وبالدرجة الاولى الصناعة الثقيلة وكان ذلك بفضل النضال المتواصل والمرير لكل شعوب الاتحاد السوفيتي من اجل بناء المجتمع الاشتراكي واعادة بناء الاقتصاد الوطني وفي نهاية المطاف اصبح الاتحاد السوفيتي دولة صناعية عظمى وبمساعدة الاتحاد السوفيتي من خلال مجلس التعاون الاقتصادي للدول الاشتراكية ، تحولت تلك الدول الاشتراكية الاخرى الى دول صناعية متطورة .

وفيما يتعلق بشكل ونوعية الصناعة التي يجب ان تقيمها الدول النامية فكما اشرنا توجد اراء مختلفة حول ذلك ويؤكد معظم الاقتصاديين الغربيين البرجوازيين مثلا ضرورة انشاء وتطوير الصناعات الخفيفة ويعتبرونها الطريقة الوحيدة المربحة بالنسبة للدول النامية ، وفي راي الاقتصادي البرجوازي بكير . ب فان « اقامة الصناعات الخفيفة هي الطريقة الوحيدة لتطوير اقتصاديات الدول النامية »(١) وهناك فريق اخر من الاقتصاديين البرجوازيين الذين يحاولون اقناع الدول النامية بان التصنيع ليس ضروريا للتطوير الاقتصادي حيث براي الاقتصادي الامريكي باريس . م : « ان تصنيع الدول النامية برايه في افضل الظروف هو عبارة عن مغامرة وفي اسوئها هو عبارة عن طريقة للتفريط بالخامات الطبيعية ومضيعة للوقت ومن وجهة نظر العلماء والاقتصاديين التقدميين أن تصنيع الدول النامية كما يؤكدون يعتمد على ضرورة اقامة الصناعات في هذه الدول ويعتبرون ذلك الطريق الضروري والمهم لتحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي والقضاء على التبعية الاقتصادية ومن الذين يقولون بوجهة النظر هذه الاقتصاديون السوفيت امثال م.م.ا فسنيف ، ن.ا. بلين والاقتصادي المجري ت. سينتش(٢)

1) Banr. P. .Yamey. H. The Economics Of Underdeveloped' Countries Chicagd. 1962. P. 253 .

٢ — م.م. افسنيف . نظرية التنمية الاقتصادية في الدول النامية ، موسكو منشورات « الفكر » عام ١٩٧٤ ص ٢٠٤ ، ن.ا.ليدلين . النظريات البرجوازية للتطور الاقتصادي ، موسكو ، منشورات « الفكر » عام ١٩٧٨ ص ١٩٥ ، ت . سينتش . العالم الثالث وقضية التطور ، موسكو ، بمنشورات التقدم عام ١٩٧١ ص ٤٢٠ . باللغة الروسية .

هذه الاراء وغيرها من الوقائع والتجارب التاريخية تؤكد عدم صحة اراء الاقتصاديين البرجوازيين حول تصنيع الدول النامية ومن الصعوبة بمكان الموافقة عليها ، وبرأينا فان القضاء على التبعية الاقتصادية والتخلف يكمن في تحسين مكانة الدول النامية في التقسيم الدولي للعمل الذي لا يمكن ان يتم دون اقامة قاعدة صناعية متينة ترتكز الى أسس وطنية ، حيث أن تلك الدول بمكنها ان تنشىء اي فرع من فروع الصناعة الثقيلة منها والخفيفة فيما اذا استخدمت مواردها الطبيعية وصنعتها وطنيا وطورت التكامل الاقتصادي فيما بينها ودعمت العلاقات الاقتصادية مع الدول الاشتراكية .

ففي الهند مثلا يسود اعتقاد بان الصناعة الثقيلة يجب ان تكون عاملا اساسا للتطور الاقتصادي هذا ما اكده المفكر الهندي المعروف نهرو حيث قال : « ان استراتيجية التخطيط الاقتصادي هي التصنيع وبشكل رئيسي الصناعة الثقيلة[2] » .

وبالنسبة للدول النامية الصغيرة فبامكانها على طريق تطوير التكامل الاقتصادي والاعتماد على دعم الدول الاشتراكية ، ان تقيم وتطور الصناعات بشكليها الخفيف والثقيل وبهذه الطريقة يمكن بها تخطي الصعوبات الناتجة عن فقدان بعض مقومات التصنيع المذكورة في اعلاه ، واضافة الى ذلك فان وجود الاسواق الواسعة المتكاملة يساعد على تصريف المنتجات الصناعية التي لن تعاني من منافسة المنتجات الغربية .

من هنا يمكن القول بان الظروف الخارجية تعتبر ذوات تأثير كبير على تصنيع الدول النامية ، وان تلك الظروف مدعوة في الوقت المناسب كي تلعب دورا كبيرا في تطوير صناعات البلدان النامية ، الا انها في ظروف التقسيم الدولي الراسمالي للعمل، تتعرقل مسيرة التصنيع في تلك البلدان ، لان الدول الامبريالية تستثمر بكل امكاناتها في العمل من اجل ربط الدول النامية في عجلة الاقتصاد الراسمالي العالمي على طريق تطوير الصناعات الاستخراجية التي تؤمن للدول الراسمالية مصادر رخيصة للخامات والمواد الاولية من اجل تمويل صناعاتها . وتدل الدراسات الاقتصادية على انه في البلدان النامية بشكل اساسي يتم تطوير الصناعات الاستخراجية التي يقدر وزنها

---

2) Mehru. J. Strategy Of The Third Plan. Government Of Lnd - in Ministry Of Information and Broadcasting. « Prodlems in Teh Third Plan - A Critica Misselany - Delhi , 1961 , P. 35 .

القومي في عام ١٩٧٨ بحوالي ٤٥٪ من الصناعات الاستخراجية للعالم الراسمالي بينما كان في عام ١٩٦٣ نحو ٣١٫٦٪ فقط ، وادى ذلك الى ابطاء تطور الفروع الصناعية الاخرى كالصناعات التحويلية والخفيفة والصناعات الثقيلة حيث يعتبر نصيب تلك الصناعات في الانتاج القومي قليلا جدا . ففي عام ١٩٦٣ بلغ انتاج البلدان النامية ٩ر٥٪ من منتجات الصناعات التحويلية في العالم الراسمالي وفي عام ١٩٧٨ بلغ هذا الانتاج ١٢٪ فقط . اما انتاجها من الصناعات الخفيفة فقد بلغ في عام ١٩٦٣ نحو ١٤٪ من انتاج العالم الراسمالي ، وبلغ هذا الانتاج في عام ١٩٧٨ ما يقارب ١٨٪ واخيرا فان انتاجها من الصناعات الثقيلة في عام ١٩٦٣ بلغ ٦ر٥٪ وفي عام ١٩٧٨ نحو ٥ر١٠٪ من انتاج العالم الراسمالي[1] .

ان هذا يعني ان الدول النامية لا تستخدم سوى قسم بسيط من خاماتها ومواردها الطبيعية ، اما القسم الاكبر من هذه الخامات فيصدر الى الاسواق العالمية.

وتدل الابحاث والدراسات الاقتصادية على ان البلدان النامية تصنع نحو ٢٥٪ من البوكسيت ، ١٧٪ من خامات الحديد ، ١٠٪ من خامات النحاس ، ٦ر٢٤٪ من البترول ٧٪ من القصدير ، ٢ر٣٦٪ من خامات التوتيا[2] .

ان الدول الامبريالية، من أجل انجاح سياستها التصنيعية هذه، تقوم بمحاربة الصناعات الوطنية الفتية في الدول النامية على طريق الحد من دخول منتجاتها الصناعية في الاسواق الراسمالية ، كما انها تقوم باغراق الاسواق في الدول النامية بالبضائع الغربية التي بدورها تنافس الصناعات الوطنية الناشئة هناك .

اما بالنسبة للعلاقات الاقتصادية بين البلدان النامية والدول الاشتراكية التي تلعب دورا كبيرا في تطوير الصناعات الوطنية في الدول الفتية ، فهي تقوم على اساس المساواة والمنفعة المتبادلة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، يؤكد ذلك تصريح الحكومة السوفييتية في عام ١٩٧٦ على اعادة بناء العلاقات الاقتصادية الدولية ، على اسس جديدة ، حيث جاء فيه : « ان الاتحاد السوفييتي لا يقدم فقط دعما سياسيا لتحقيق مطالب دول اسيا ، افريقيا ، امريكا اللاتينية،انما يقدم ايضا المساعدات المباشرة لحل الصعوبات الاقتصادية واقامة الصناعات الوطنية

---

١) ـــ ن. ريمالون . العالم الراسمالي والدول النامية . الفجوة الاقتصادية ، مجلة « الحياة الدولية » رقم ١٢ عام ١٩٧٩ ، ص ٣٤ ـــ ٤٥ ، باللغة الروسية .

٢) ـــ ٢.٢. ارباتوف . الخامات الطبيعية للتطوير الوطني والعالمي في الدول الراسمالية والنامية ، موسكو ، عام ١٩٧٨ ، ص ٦٤ ، باللغة الروسية .

التي تعتبر قاعدة الاستقلال الاقتصادي .(١)

ان الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي تقدم مختلف انواع المساعدات للبلدان النامية ، من اجل القضاء على التخلف وبناء الاقتصاد الوطني الذي يرتكز على الصناعات الاستراتيجية . وبفضل المساعدات الاقتصادية والفنية التي تقدمها البلدان الاشتراكية ، فان اعضاء مجلس التعاون الاقتصادي للدول الاشتراكية يبنى في الدول النامية [illegible] وخمسمئة مصنع ومؤسسة انتاجية ، منها اكثر من ٣ الاف انتهى بناؤها وتستخدم الان في الانتاج(٢) . ومن هذه المصانع توجد نحو ١٠٥٠ مؤسسة صناعية وانتاجية تبنى من قبل الاتحاد السوفييتي ، وقد بدات نحو ٥١٣ مؤسسة منها عملية الانتاج في تشرين الثاني من عام ١٩٧٨.(٣) .

والمؤسسات الانتاجية والصناعية المبنية من قبل الدول الاشتراكية موجهة لتطوير مختلف فروع الصناعات الوطنية التحويلية والكيميائية والبتروكيمائية وصناعة التعدين والطاقة ، كما تساعد الدول الاشتراكية في بناء خطوط المواصلات ومحطات توليد الكهرباء وغيرها .

وكامثلة على ذلك نستطيع ان نورد انه بمساعدة المنظومة الاشتراكية اقيم ويقام في الهند اكثر من ٣٩٠ مؤسسة ومشروعات اخرى ، وقد بدا عمل ثلاثة ارباعها بما في ذلك مصانع ضخمة لتصنيع الحديد الخام ، مثل مصانع تعدين الحديد بهيلاي الذي ينتج ٢م٥ مليون طن من الحديد في العام ، وسيصل انتاجه الى ٤ مليون طن بعد الانتهاء من بناء المرحلة الاولى ، ان هذا المجمع يعطي ثلث الحديد المصنع في الهند ، ونحو ٦٥٪ من القضبان الحديدية المنتجة في الهند ماركة هذا المجمع وفي ايران وبمساعدة دول مجلس التعاون الاقتصادي للدول الاشتراكية انشيء ونشا ما يزيد على ٢٠٠ مشروع اقتصادي منها ١٤٥ مشروعا قد بدا العمل بها بالفعل ، ومن هذه المشاريع يمكن ان نذكر مصنع الحديد الخام بالقرب من اصفهان ومصنع بناء الالات والمصانع الكيميائية ومصانع الرصاص والزنك ومصنع اسمنت ، ومناجم الفحم الحجري ، وصوامع للحبوب ، ومطاحن ومجمعات انشاء المساكن الجاهزة ، ومراكز التاهيل ، وطرق المواصلات ، وفي سورية اقيم بمساعدة الدول اعضاء مجلس التعاون الاقتصادي للدول الاشتراكية ، مصنع للاسلاك كما تم وضع خريطة جيولوجيـــــة

(١) — تصريح الحكومة السوفييتية ، حول اعادة بناء العلاقات الاقتصادية الدولية صحيفة « البرافدا » السوفييتية « تشرين اول ١٩٧٦ .

(٢) — ك.ن. بروتنتش ، الدول المتحررة في السبعينات ، موسكو ، منشورات « العلوم » عام ١٩٧٩ ، ص ١٥٦ ، باللغة الروسية .

(٣) — صحيفة الاقتصاد السوفييتية ، العدد ١٦ نيسان ١٩٨٠ ، ص ١٩ .

لسورية ، وقدرت كمية البترول في حقول النفط ، وتقدم المساعدة في استخراجه كما اكتشفت احتياطات ضخمة من الفوسفوريات التي بني على اساسها ، وسيتم تشغيل اول مجمع تعدين صناعي يعطي البلد في العام ٢٠٠٠ الف طن من الفوسفات ، واقيمت وتقام بمساعدة تلك الدول مؤسسات لتكرير البترول ومصانع البتروكيمياويات ، مثال مجمع بتروكيمياويات في حمص ، اقيم بمساعدة تشيكوسلوفاكيا وتقوم جمهورية المانيا الديمقراطية بمد صناعة الغزل والنسيج في سورية بالالات والمعدات عالية الجودة ، وبمساعدة الاتحاد السوفياتي يجاد تقدم وتوسيع ميناء اللاذقية الذي يستطيع خدمة السفن ذوات الحمولات الضخمة ، حيث ستصل ثروة الحمولات في الميناء بعد انتهاء الاعمال فيه الى ثلاثة ملايين طن في العام ويصل الطول الكلي للسكك الحديدية التي يجري بناؤها وتجديدها في سورية اكثر من ١٤٠٠ كم . وتصدر الدول الاعضاء في مجلس التعاون الاقتصادي للدول الاشتراكية كل ما تحتاجه سورية من القاطرات وعربات السكك الحديدية ، وذلك للاستغلال الفعال لهذه الطرق ، كما تم انشاء خط للسكك الحديدية طوله ٧١٠ كم يربط ما بين القامشلي واللاذقية على طريق حلب بمساعدة الاتحاد السوفييتي ، ويربط هذا الخط المناطق الشمالية للبلد مع شاطيء البحر الابيض المتوسط ، ويمثل المجمع الطاقي على نهر الفرات ذو المحطة الكهربائية المائية بقدرة ٨٠٠ الف كيلو واط قيمة عظمى للاقتصاد السوري ، وقد تم انشاء هذا المجمع بمساعدة الاتحاد السوفييتي . وهناك كثير من المشاريع التي تنشا بمساعدة الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الاخرى .

وتجدر الاشارة الى ان بناء تلك المؤسسات الانتاجية بمساعدة الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الاخرى ، في البلدان النامية موجه لتدعيم القطاع العام ، وتكاليفها تسدد من انتاج هذه المؤسسات ولفترات طويلة المدى مما يخفف من الصعوبات المالية للدول النامية . اضف الى ذلك فالعلاقات الاقتصادية بين الدول الاشتراكية والدول النامية تساعد على تشجيع الصناعات الوطنية على طريق تصدير منتجاتها الى اسواق الدول الاشتراكية من دون عراقيل ، وهذا بالطبع يخفف من حدة منافسة البضائع الغربية في السوق العالمية .

مما ذكرنا في أعلاه يمكننا أن نصل الى النتائج التالية :

ـ ان القضاء على الامية ، والقيام باعداد الكوادر الفنية الوطنية ، وانشاء وسائل النقل والمواصلات ، وبناء مؤسسات انتاج الطاقة والوقود وتصنيع الخامات والثروات الوطنية ، قبل تصديرها وتدعيم القطا ع العام ، تعتبر من الضروريات الاساسية لتصنيع الدول النامية .

ـ بالاضافة الى الاجراءات السابقة الذكر ، اذا ما عمقت الدول النامية اواصر التعاون الاقتصادي فيما بينها من ناحية ، ومع الدول الاشتراكية من ناحية اخرى ، من اجل تأمين المقومات الاخرى للصناعة ، مثل الآلات والمعدات والتكنولوجيا الحديثة ورؤوس الاموال والاسواق لتصريف منتجات الصناعات الوطنية ، تستطيع من دون شك انشاء وتطوير الصناعات الوطنية خلال فترة وجيزة من الزمن .

ومن اجل تحسين مكانة الدول النامية في التقسيم الدولي الرأسمالي للعمل ، الذي سيوفر الظروف الخارجية المساعدة ، ويفتح مجالات واسعة أمام الصناعات الوطنية ، ينبغي على البلدان النامية ان تناضل صفا واحدا ضد سياسة الاستعمار الاقتصادي الحديث ، وضد الاستغلال والاضطهاد الذي تمارسه الدول الامبريالية في علاقاتها مع الدول النامية ، ان هذا النضال يمكن ان يمارس على طريق المنظمات الدولية في هيئة الامم المتحدة ، وعلى طريق حركة عدم الانحياز والمنظمات الاقتصادية الدولية ، كالاوبيك وغيرها من المنظمات الاقتصادية الدولية المتخصصة بتسويق منتجات الدول النامية من الخامات والمواد نصف المصنعة .

❀ ❀ ❀

تقارير

القرصنة الصهيونية لن تمر دون عقاب

رفيق سميع الرازي

مرة أخرى تضع ، اسرائيل ، الاسرة الدولية أمام تحد كبير وحادث ارهابي جديد . لكنها هذه المرة اقدمت على عمل اكبر خطورة وبكل ابعاده وأهدافه قياسا لاعمالها الارهابية السابقة . . ففي الساعة الثالثة عشرة بتاريخ ٤ / ٢ / ١٩٨٦ قامت طائرتان حربيتان اسرائيليتان باعتراض طائرة مدنية ليبية تقل وفدا سياسيا رسميا سوريا من حزب البعث العربي الاشتراكي برئاسة الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد للحزب ، في اثناء تحليقها في الاجواء الدولية فوق البحر الابيض المتوسط بالقرب من قبرص ، واجبرتها بالقوة على تغيير مسارها باتجاه الاراضي العربية المحتلة ، حيث هبطت في احدى القواعد الجوية للعدو بالقرب من حيفا ، .

وقد عمل القطر العربي السوري فور ورود نبأ الجريمة . على القيام بعدد من التحركات السياسية ، حيث استدعى الرفيق وزير الخارجية سفراء الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي المعتمدين في دمشق ، وابلغهم فيها تحميل « اسرائيل » المسؤولية الكاملة عن هذه القرصنة التي تعتبر خرقا صارخا للقانون الدولي ، وتهديدا خطيرا لسلامة الملاحة الجوية الدولية ، وابلغهم طلب سورية انعقاد مجلس الامن الدولي بصورة فورية لبحث الحادث الخطير ، لاتخاذ الاجراءات الفورية للتحقيق في مصير الطائرة وركابها وطاقمها ، وضمان سلامتهم وعودتهم الى القطر ، واتخاذ القرارات اللازمة في مجلس الامن لوضع حد لاعمال القرصنة الجوية والاعمال الارهابية الاسرائيلية . كما ابرق وزير الخارجية الى الامين العام للامم المتحدة وطلب رسميا انعقاد مجلس الامن الدولي ووجه رسالة أخرى الى الامين العام لمنظمة الطيران المدني الدولية ، أبلغه فيها خرق «اسرائيل» لقانون الطيران المدني ، وضرورة اتخاذ المنظمة اجراءات لحماية الرحلات الجوية في الاجواء الدولية .

وعلى الرغم من ان هذا العمل الارهابي ليس بجديد بالنسبة للكيان الصهيوني ، لكنه الاكثر خطورة ، ليس فقط باعتباره خرقا للقوانين والاعراف الدولية ، بل باعتباره من ابرز واهم الاعمال المدانة عالميا ، كونه يفتح باب هذه الاعمال على مصراعيه امام الفعل وردات الفعل ، قد تضطر للمشاركة فيه دول يفترض فيها ان تساهم في تعزيز الامن والسلم الدوليين ، وان افراج «اسرائيل» عن الطائرة وركابها لا يعفيها ابدا من مسؤولية تعريض المنطقة للخطر ، او حتى لاحتمالات نشوب حرب ، خاصة وان العملية القرصنية جاءت بتنسيق مع الولايات المتحدة ، وتتزامن والتهديدات الامريكية الموجهة لكل من سورية وليبيا ، ولذلك فقد كان موقف القطر على مستوى وحجم التهديد ، وقد اعلن عن هذا الموقف في مساء الحادثة نفسه ، واثناء استقبال الرفيق الامين العام المساعد والوفد الرافق

له في مطار دمشق الدولي ، فقد اكد الرفيق الامين العام المساعد ، ان في مقدور سورية اغلاق المجال الجوي في البحر الابيض المتوسط امام اية طائرة تتجه الى الكيان الصهيوني .. وان القيادة تدرس الرد على هذه الجريمة ، واعلن الرفيق عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية عدم وقوف القطر مكتوف اليدين تجاه هذه الحالة الخطيرة كما واكد الرفيق العماد حكمت الشهابي رئيس الاركان العامة للجيش العربي السوري ، ان سورية سترد على تلك الجريمة وستلقن من ارتكبها درسا لا ينسى ، واننا سنختار الاسلوب والتوقيت والمكان الذي يناسبنا للانتقام ،.كما كان لحادث الجريمة وقع وصدى كبيران على الصعيد العربي والدولي ، ولا غرابة اذا قلنا ان موجة الاستنكار والشجب والادانة ، قد اختلفت عن سابقاتها بالنسبة لاعمال «اسرائيل» الارهابية السابقة ، تمثلت بردود فعل عربية ودولية سورية ، فعلى المستوى العربي تلقى الرفيق الامين العام للحزب رئيس الجمهورية اتصالات هاتفية من عدد من القادة العرب ادانوا فيها الجريمة ، واعلنوا موقفهم التضامني الى جانب القطر ، وقامت بعض الدول العربية باجراءات ديلوماسية سريعة تعبيرا عن موقفها التضامني ، وحتى بعض الدول العربية الضالعة في خطط العدو الاستسلامية كمصر لم تستطع ان تعطي شرعية للعمل الارهابي الصهيوني ، كما استنكرت سائر الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية (حادث القرصنة) واعلنت وقوفها الى جانب سورية وليبيا في التصدي لهذا العمل الاجرامي ، واعلنت موقفها هذا بالاتصالات الهاتفية التي أجرتها مع الرفيق الامين العام المساعد ، وخلال زيارتها للقيادة القومية للحزب والبرقيات التي ارسلت للقيادة ، كما واعلنت فصائل الثورة الفلسطينية عن وقوفها الى جانب سورية وليبيا ، واكدت عزمها على الانتقام والرد على العملية بضرب اهداف صهيونية وامريكية ، وكذلك فقد كان لحادث الجريمة صدى رسمي واعلامي كبيران على الصعيد الدولي فقد استنكرت دول المنظومة الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد

السوفييتي هذا الحادث الارهابي ، واعلنوا تضامنهم وتاييدهم لنضال الامة العربية ضد «اسرائيل» والامبريالية الامريكية واشار الاتحاد السوفييتي الى العون الذي قدمه الاسطول السادس الامريكي من اجل تنفيذ قرصنتها كما واعلنت الصين وايران والهند ودول اسيوية اخرى موقفها التضامني مع القطر واعتبرت القرصنة الاسرائيلية بانها استمرار للعدوان على العرب واجمعت دول السوق الاوروبية المشتركة على ادانة «اسرائيل» ووصفنا ما قامت به بانه عقبة على طريق السلام ، وكان ابرز تلك التصريحات التي اعلنها وزير الخارجية البريطاني الحليف الاوروبي الاكثر تطرفا بالنسبة للولايات المتحدة فقد اعتبر الحادث الجريمة ، سابقة خطيرة مخالفة للقانون الدولي . وقد عكست الصحافة الغربية هذه المواقف واشارت في تعليقاتها الى خطورة الحادث ، واعتبرته من اخطر الحوادث التي ارتكبتها « اسرائيل » في المنطقة نظرا للصلة المباشرة لكل من سورية وليبيا بالحادث ، وتوقع الراي العام العربي ردا حاسما من هاتين الدولتين على الجريمة نظرا لصلابة موقفيهما من الولايات المتحدة و « اسرائيل » .

شكل الحادث القرصني الاسرائيلي يوما تضامنيا عفويا مع نضال الامة العربية حيث تجاوزت ردات الفعل كل الحوادث السابقة التي تعرضت لها المنطقة في السابق .وكان عدد البرقيات والاتصالات التي اجريت مع الرفيق الامين العام المساعد اكثر من ان تعد ، شملت معظم القوى السياسية والشخصيات الوطنية والاجتماعية في العالم . الا ان التاييد المهم لموقف القطر كان بالوقفة التي وقفها شعبنا في القطر العربي السوري ، وتاييده العفوي لموقف قيادته ، حيث دلل المواطن على تماسك الوطن امام التحديات التي تهدد المصير ، برزت بشكل واضح من خلال برقيات التاييد التي وردت على القيادة القومية من مواطنين عاديين ، والتي دلت بوضوح على وعي المواطنين في القطر وتلاحمهم العفوي مع القضايا المصيرية التي تتعلق بامن

الوطن من جهة ، وثقة المواطن بقيادته السياسية ، ووقوفه خلف هذه القيادة ، مما يشكل نوعا من انواع التعبير المعنوي والمادي لتماسك الجبهة الداخلية للقطر ، ووقوفها الى جانب الخط السياسي الذي ينتهجه حزب البعث العربي الاشتراكي بقيادة الرفيق الامين العام للحزب رئيس الجمهورية .

وان نشير الى هذه المواقف عانيا لنلفت الانتباه الى الوضع الخطير الذي وضعت «اسرائيل» العالم فيه والذي لم يحظ بعد فيه الشجب والاستنكار ، ولنؤكد موقف القطر العربي السوري بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي والرفيق الامين العام للحزب المناضل حافظ الاسد ، لتلاقي هذا القطر الصامد لا نستغرب اي عمل او عدوان تقوم به «اسرائيل» بل هو من الاحتمالات الدائمة لدينا ، فالعدوان قائم على الامة العربية مادام الاحتلال للاراضي العربية قائما ، ومادام شعب فلسطين مشردا ، واذا كانت سورية قد تقدمت بشكوى الى مجلس الامن فيجب ان لا يفهم منه اننا ننطلق من موقف ضعف ، ونود ان يعرف ذلك كل مواطن عربي و «اسرائيل» اولا لاسباب عديدة : اولها اننا نعرف تماما ان العدو لم يلتزم ابدا بميثاق الامم المتحدة ، وان وجوده مخالف لهذا الميثاق وهو بالتالي لن يلتزم باي قرار تصدره المنظمة الدولية . وثانيها ان « اسرائيل » باعمالها العدوانية والارهابية تخالف ابسط الاعراف والقوانين الدولية ، فمن باب اولى انها لن تلتزم بهذه القوانين ، ونحن في القطر نعتبر اننا باجراءاتنا قد حققنا تضامنا دوليا ليس مع القطر وليبيا فقط بل تضامنا مع العرب جميعا ، وتضامنا مع شرعية نضالنا ضد الاحتلال والعدوان ، حيث اجمع العالم وللمرة الاولى ، ان « اسرائيل » هي وحدها التي تخرج عن مواقف الاسرة الدولية بارتكابها الجرائم النكراء ، والولايات المتحدة هي التي ترعى المجرم ، وتمده بالدعم المادي والمعنوي ، وليس في الامر غرابة ، فللولايات المتحدة الصدارة في مجال الارهاب ، فالعالم وليست حادثة اختطاف الطائرة المصرية ببعيدة عن الاذهان ، فالعالم

قد يستنكر بعض أعمال العنف التي تقوم بها بعض الجماعات والافراد
لكنه لايمكنه الوقوف الى جانب الارهاب الذي تمارسه بعض الدول .
ومن هنا كان هدف تحرك القطر العربي السوري الدبلوماسي في
المنظمة الدولية واصراره على اتخاذ اجراءات رادعة بحق «اسرائيل»
من خلال مشروع القرار الذي تقدم به الى مجلس الامن الدولي
والذي تضمن النقاط التالية :

ان مجلس الامن الدولي :

١ ـ يدين « اسرائيل » لاستعمالها القوة في اعتراض الطائرة
المدنية الليبية في المجال الجوي الدولي ، واجبارها على تحويل
مسارها ، ولقيامها بعد ذلك باحتجاز الطائرة المذكورة .

٢ ـ يرى أن هذا العمل من جانب « اسرائيل » يشكل انتهاكا
خطيرا لمبادىء القانون الدولي ولاسيما الاحكام ذوات الصلة من
الاتفاقيات الدولية الخاصة بالطيران المدني .

٣ ـ يطلب الى منظمة الطيران المدني أن تولي الاعتبار الواجب
لهذا القرار عند نظرها في تدابير ملائمة لحماية الطيران المدني
من مثل هذه الاعمال .

٤ ـ يطلب الى « اسرائيل » ان تكف على الفور عن كل عمل
يعرض سلامة الطيران المدني الدولي للخطر ، وينذر « اسرائيل »
رسميا من أن هذه الاعمال اذا تكررت فان المجلس سينظر في اتخاذ
تدابير ملائمة لتنفيذ قراراته .

وكما هو متوقع فقد استعملت الولايات المتحدة الامريكية حق
النقض (الفيتو) ضد المشروع العربي السوري . ولم يكن الموقف
الامريكي مستغربا أو بعيدا عن الاحتمالات .بل من الطبيعي والمنطقي
ان تقف امريكا بصف «اسرائيل» المكلفة اصلا بمهام العدوان والارهاب
في المنطقة العربية ، وطبيعي أمام هذه الحالة ان تستعمل حق النقض،

وقد وضعت سورية في حسابها هذا الموقف امريكي . ولذلك فان
هدف القطر كان اساسا ينصب في فضح العلاقات الامريكية
الاسرائيلية ، وتآمرهما على العرب . وفي الوقت نفسه لتطلق صيحة
في وجه العرب . بأن مصلحة الامة العربية ، ومستقبل هذه الامة في
تناقض جدي مع المصالح الامريكية ، وأن مصير الامة العربية لايتقرر
بالتقرب من أمريكا واللهاث وراء حلولها . بل يقرره حجم ونوعية
التصدي الذي ستتخذه الامة العربية . والذي يتطلب الموقف أن تكون
القوة احدى وسائل المحاربة ، نظرا للتمادي الامريكي الاسرائيلي
بتحدي العرب ، بل واهانتهم .

ونؤكد نحن في القطر العربي السوري بقيادة حزب البعث انه
على الرغم من كوننا نعطي اهمية للراي العام الدولي وللمنظمة الدولية
ونطالبها أن لاتترك للحادث الجريمة يمر دون عقاب ـ حقنا المشروع
في الدفاع عن انفسنا وقضيتنا العادلة ، ونؤكد اننا سوف نمارس
هذا الحق . وسوف نختار ونحدد المكان والزمان للرد على العمليات
الارهابية الاسرائيلية بما يتوفر لدينا من امكانات وقدرات بما يضع
حدا لعربدة الكيان الصهيوني وارهابه .

انشطة ووثائق

القيادة القومية

منظمات الحزب القومية داخل الوطن العربي

● شارك الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي والوفد الحزبي المرافق له في اعمال المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي الذي انعقد في اواخر شهر شباط .

هذا وكان في استقبال وفدنا الحزبي برئاسة الرفيق عبد الله الاحمر في مطار موسكو المارشال سيرغي سوكولوف العضو المرشح للمكتب السياسي وزير الدفاع السوفييتي والرفيق كارين بروتنتسي نائب رئيس العلاقات الدولية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي والرفاق امين واعضاء قيادة منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي في الاتحاد السوفييتي والقائم باعمال سفارتنا في موسكو .

القطر العربي السوري

● اقام مكتب الاعداد الحزبي القطري ندوة فكرية حول الوحدة العربية في مبنى القيادة القطرية ، استمرت الندوة اربعة ايام شارك فيها الرفاق والسادة : عادل زيتون ، د . نجاح محمد ، د . حامد خليل ، محمد محفوض ، محمد حرب ، احمد الاسعد ، نايف بلوز ، احمد الحاج علي ، د . خضر زكريا ، د . مطانيوس حبيب ، د . عارف دليلة ، عطية الجودة ، د . احمد برقاوي ، ديب ابو لطيف ، د . غانم هنا ، د . طيب تيزيني .

تناولت الندوة الموضوعات التالية :

- التطور التاريخي للامة العربية وتكون الهوية القومية .
- الوحدة العربية عبر التاريخ .

- قصور العامل الذاتي .
- التجارب الوحدوية المعاصرة .
- النزعات الاقليمية في الوطن العربي .
- التيار الناصري والوحدة العربية .
- ملاحظات حول مفاهيم الامة والتاريخ والثقافة .
- الوحدة العربية بوصفها الاطار المناسب لكفاح الجماهير الشعبية من اجل تأسيس سلطة الشعب الديمقراطية .
- التبعية عقبة اساسية في طريق تحقيق الوحدة العربية .
- الوحدة العربية ودورها في التنمية وتجاوز التخلف .
- انعكاسات البعد الاقتصادي .
- حزب البعث العربي الاشتراكي والوحدة العربية .
- الوحدة العربية وعقلية البرجوازية الصغيرة .
- القوى الاجتماعية ذات المصلحة العميقة في تحقيق الوحدة العربية .
- العامل الذاتي والشروط الايديولوجية والتنظيمية والسياسية .
- المنهج العلمي والموضوعي للوحدة العربية .

وقد افتتح الندوة الرفيق الدكتور سليمان قداح الامين القطري المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي بحضور عدد من الرفاق اعضاء القيادتين القومية والقطرية وبعض الوزراء ومدراء المؤسسات الاعلامية ورؤساء مكاتب الاعداد الفرعية بالفروع الحزبية وعدد كبير من الباحثين والمفكرين والفعاليات الفكرية والنضالية والسياسية .

وقال الرفيق قداح في كلمة الافتتاح ان التضامن العربي وتقدير صيغ العمل العربي المشترك الذي اكد عليها الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام لحزبنا العظيم في اكثر من مناسبة هما نقطة ارتكاز ثابتة في سياسة قطرنا بعد قيام الحركة التصحيحية المجيدة ، كما ان قضية الوحدة العربية لم تنشأ من الفراغ وبدون مقدمات وانما هي نتاج لعملية تطور داخلي طويل للواقع المادي والروحي عندالعرب» وقال لقد استطاع النضال الوطني الذي خاضته الجماهير العربية ضد الاستعمار الكولونيالي والصهيونية والرجعية ان يعمق اكثر فاكثر روابط النضال القومي المشترك والموحد للشعب العربي ، ومن هذا المنطلق كان لابد من مشروع وحدوي يستطيع ان يتجاوز باهدافه ومضامينه كل الهفوات والاخطاء التي طرحتها المشروعات الوحدوية ، والتي اشرنا اليها فيما سبق ، ونؤكد وبشعور عال من الاعتزاز ان اول مشروع وحدوي عربي جماهيري علمي طرح على الساحة العربية كان من قبل حزبنا العظيم حزب البعث العربي الاشتراكي .

كما القى الرفيق الدكتور احمد درغام عضو القيادة القطرية رئيس مكتب الاعداد الحزبي كلمة اكد فيها ان حزبنا ، حزب البعث العربي الاشتراكي هو نتاج تلك الحركة العربية التحررية في هذه الارض ، وان حزبنا اعتبر ان النضال من اجل الوحدة القومية العربية بهذه الامة لا يكون مجديا الا بالتلازم بين الوحدة والحرية والاشتراكية أهداف الثورة العربية المعاصرة ، وان حزبنا سيبقى يعمل من اجل تحقيق وحدة الامة العربية مهما كثرت مكائد الاعداء من رجعيين وصهاينة وامبرياليين لان الوحدة تعيد للامة العربية مكانتها وتصبح مسموعة الكلمة وتستطيع ان تقضي على سائر عوامل الضعف والتخلف داخل اقطارها وان تضع حدا للاطماع الاستعمارية في اراضيها وثرواتها ، كما تستطيع ان تسهم بقدر وافر في اغناء التقدم البشري وان تصبح اكثر اهمية واكثر فائدة للناس جميعا .

هذا وقد أشتركت هيئة تحرير المناضل في اعمال هذه الندوة الفكرية الاولى وستنشر في اعدادها المقبلة ما دار فيها من مناقشات وابحاث ..